من وحي عاشوراء

فــهــرس الــكــتــاب

الطبعة الثانية – مصححة ومنقّحة

1417هـ ـ 1997م

دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك ـ طريق المطار ـ خلف كلية الهندسة هاتف: 823629 ـ فاكس: 4784320 ـ 212 ـ 001

من وحي عاشوراء

لسماحة آية اللّه العظمى
السيِّد محمَّد حسين فضل اللّه

دار الملاك


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــة

عاشوراء .. ومصير الروح الإسلامي

ليست ثورة الإمام الحسين (ع) مجرد حدث تاريخي؛ ليست مجرد فعل ماض حدث وانقضى واستنفد دلالاته وأغراضه، وإنَّما هي فعل للمستقبل وإن ارتكز على أسباب وعوامل تاريخية. فالفعل الحسيني هو فعل ثورة روحية أخذ "على عاتقه مصير الروح الإسلامية..." ومصير العدالة معاً.

ولذا كان فعلاً ميتا ـ تاريخي، بما هو وقود كل تاريخ أخذ على عاتقه مصير الروح، وبما هو فعل خصب بالحياة، وبقوة العدالة، يختلج ضميره بكل مطامح السمو والعلاء، وينضح بكل شعور حي ونابض، « بالنزوع إلى تطور روحي هائل، تصاعد فيه قواه، متدفقة متوترة، حادة متوثبة، خالقة تبدع في كل طور من أطوار هذا التصاعد صوراً للوجود خصبة سامية، وقيماً للحياة جليلة عالية: في الإيمان بها » إيمان بإمكان خلق إنسانية عظيمة، يكون في تحقيقها تحقيق لأمثل حضور حضاري في الحياة.

من هنا، كان «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء».

فالفعل العاشورائي يتقمص في حضوره كل زمان ومكان، ويتلون مع كل زمان ومكان، ليأخذ منه قضاياه وتحدياته وأسئلته، ويجيب عليها الجواب المناسب.

فإذا ما ألبس الإمام الحسين (ع) كربلاء الثوب الأرجواني، فما ذلك إلاّ لأنَّها الجواب المناسب للسؤال المطروح آنذاك.

وكلنا نعلم، أنَّ الجهاد في الإسلام جهادان: جهاد أكبر وجهاد أصغر، وما الثاني من الأول إلا كالفرع من الأصل، لأنَّ الأول غذاء الثاني ومدده الروحي الّذي لا ينضب، بينما الثاني وُجد ليصون الأول، ويدفع عنه السوء، ويزيل من أمام نشره كل عائق.

والجهاد الأكبر، جهاد عميق مجاله الرحب النفس، الّتي هي مرتكز كل تغيير: **{ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** (الرعد: 11). وإذا كانت عاشوراء تضرب بجذورها عميقاً في هذا النوع من الجهاد، فما تعبيرها الدامي إلاّ تجلياً لمخاض الجهاد الأكبر، وسعياً لتوكيد أبعاده وحضوره الفاعل في الحياة. ولذا كان الشعار الحسيني الرائد: « إني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»[1] ، بما يعنيه هذا الإصلاح من إعادة تصويب للمسار التاريخي والحضاري للأمة الإسلامية في الحياة.

ولذا، فإنَّ كل إسهام في إعادة توكيد الحضور الفاعل للإسلام في المسير التاريخي والحضاري هو فعل عاشورائي، وإن كان فعل الشهادة بما يحمله من سمو تضحية وفداء تعبيره الأسمى، وشاهده الأدق.

فالحقيقة العاشورائية حقيقة مطلقة يفور بها الخيار الحر في أسمى التجليات العبقرية للموت، أي الشهادة.

هذه الشهادة الّتي ترمي بنظرها إلى أقصى التاريخ، لتستوعب بفعل واحد مصير الإنسانية كله، فتحمل مسؤوليته عن جدارة.

وهنا عبقرية الموت المتمثِّل بالشهادة، العبقرية الّتي تختار نوع الحياة وهي تختار نوع موتها، فتوائم بينهما بحيث يفضي كل منهما إلى الآخر.

وليست محتويات هذا الكتيب، إلا منتخبات ثمينة من محاضرات لسماحة آية اللّه العظمى السيّد محمَّد حسين فضل اللّه، جديرة بأن تفك لنا الكثير من «شيفرات» هذا الحدث الروحي العظيم في تجلياته ودلالاته وأبعاده، وفي قدرته على الحضور العميق الوجداني والفكري عبر التاريخ الإسلامي المديد لهذه الأمة.

وهذه المحاضرات ألقيت في مناسبات عاشورائية عدة، أخذ المركز الإسلامي الثقافي على عاتقه مهمة نشرها تعميماً للفائدة والتماساً للأجر.. فلسماحته وللقراء الأجر الكبير واللّه الموفق.

المركز الإسلامي الثقافي

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:329، رواية:2.

تأملات في القضية الحسينية

وقفة تأمّل:

عندما نحاول أن نقف متأملين في القضية الحسينية بعيداً عن أجواء الحزن والنّواح والصّراخ... التي تحوّلت إلى تقاليد متنوعة الأشكال، مختلفة الأبعاد في سلبياتها وإيجابياتها؛ فإنَّ علينا، بداية، أن نحدّد صورة الحسين (ع) في وعينا الإسلامي. هل هو رجل العنف الرافض لمنطق الحوار الهادئ والرصين، وبالتالي لا يجد وسيلة للتفاهم إلاَّ لغة القوّة والسيف؟ حول القضايا التي تفرض نفسها على الواقع الإسلامي، ويختلف المسلمون حولها؟ أو أنَّ الحسين (ع) يملك صورة غير هذه الصورة؟

قد يتبادر إلى الأذهان أنَّ الحسين (ع) رجل لا يقبل بالحلول الوسط، ولا يرضى بأيّ حوار يُراد منه حلّ المشكلة؛ ولكنّنا نعلم أنَّ الحسين (ع) إمام الإسلام، يرتكز في كلّ أقواله وأفعاله وتقريراته على مبادئ وقيم وأحكام وتشريعات الإسلام الحنيف. ونعرف، أيضاً، من خلال القرآن الكريم، ومن خلال سيرة النبيّ محمَّد (ص)، أنَّ الحوار سُنّة قرآنية ـ نبوية في التصدي لنقاط الخلاف، ومواطن الاشتباك والتحدي. فنحن عندما نتابع سيرة النبيّ (ص)، لا سيما في صلح الحديبية وفي غيرها، فإنّنا نرى النبيّ (ص) يدخل في مفاوضات مع قريش المشركة، في الوقت الذي كان كثير من المسلمين لا يرتاحون إلى ذلك. ولكنَّ النبيّ (ص) كان ينظر إلى الأفق الأبعد، ويعتبر أنَّ الاستراتيجية لا تعني أن ترتبط بمضمونها بشكل مباشر، ولكن لا بُدَّ لك من أن تقطع عدّة مراحل للوصول إليها، من دون أن تواجه المشاكل الصعبة التي قد تسقطها في الطريق، فلا تستطيع بلوغها.

عندما نريد أن نفهم الإمام الحسين (ع) جيّداً، فإنَّ علينا أن لا نفهمه في كربلاء فحسب، بل علينا أن نفهمه في الكوفة عندما كان مع أخيه الإمام الحسن (ع).

كان الإمام الحسن (ع) هو إمام الحسين (ع) الذي كان في عصره، والإمام الحسين (ع) كان عليه أن يطيعه. وكان الإمام الحسن يرى في الحسين (ع) الأخ المنفتح على الإسلام كلّه الذي عليه أن يستشيره. وكانا يتكاملان في مواجهة المشكلة، حرباً عندما شنَّ الإمام الحسن (ع) الحرب، وسلماً عندما اختار الإمام الحسن (ع) السلم بفعل الظروف الموضوعية الصعبة التي أحاطت بالواقع الإسلامي.

الأسلوب الحسيني والحسني واحد:

ولذلك فإنَّ من الخطأ الحديث عن أسلوب حسني وأسلوب حسيني، لأنَّ الحسن (ع) كان الإنسان المحارب العنيف، ولكنَّه واجه الظروف التي لم تجعل امتداد الحرب واقعياً من خلال مصلحة الإسلام العليا في ذلك، كما كان المسالم عندما رأى مصلحة الإسلام تقتضي ذلك.

وهكذا كان الإمامان الحسن والحسين (ع) شريكين في السلم والحرب معاً. وقد تعلّما من أبيهما أمير المؤمنين (ع) الكثير من الأمور في الفترة التي كانت بين وفاة رسول اللّه (ص) وبين خلافته، فحين كان يسالم ويسلِّم، بالرغم من كلّ الصعوبات التي كانت تفرضها عليه مسالمته وتسليمه، كان يقول: «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلاَّ عليّ خاصة»[1] ، وكان يقول وهو يشير إلى دوره في النصح والمشورة والمساعدة للخلفاء الذين تقدموه: « فخشيت إن ـ أنا ـ لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم، التي إنَّما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان، كما يزول السراب أو كما يتقشّع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأنّ الدِّين وتنهنه »[2].

كان عليّ (ع) الإنسان الذي يتحرّك في السلم والحرب من موقع حاجة الإسلام إلى نوعية حركته، لا من خلال مزاج عسكري يفرض عليه أن يهاجم. كان عليّ (ع) أكثر النّاس هدوءاً في إحساسه وهو يدخل الحرب، كما قد يكون أكثر النّاس ثورة وهو يُمارس السلم.

وهكذا كانت مسألة الإمام الحسين (ع)، كمسألة أخيه، تنطلق من خلال عنوان واحد.

ما مصلحة الإسلام في هذا، وما مصلحته في ذاك؟

أمّا السلم في حياة الإمامين الحسين والحسن (ع)، وأمّا الحرب والعنف في حياة الإمام الحسين (ع)، فالمرحلة هي التي تحدّد. كانت المرحلة والتحديات وطبيعة الحصار الذي فُرض على الإمام الحسين (ع)، ولم يُفرض مثله على الإمام الحسن (ع)، هي التي حدّدت وجعلت الأسلوب يتحرّك باعتباره الوحيد. ليست المسألة رفضاً للخيارات التي تنسجم مع مصلحة الإسلام، وإنَّما ركّزت المسألة بين هذا الخيار وذاك، فكان الخيار الكربلائي هو الخيار الوحيد.

عندما نقرأ سيرة الحسين (ع) في انطلاقته، فإنّنا نجد أنَّ العنوان الذي كان يحكم مسيرته هو عنوان الإصلاح في أمّة جدّه؛ الإصلاح الفكري في مواجهة الانحراف الفكري،

---

[1] نهج البلاغة، ج:6، باب:73، ص:166.

[2] البحار، ج:33، باب:3، ص:596، رواية:743.

والإصلاح السياسي في مواجهة الانحراف السياسي، والإصلاح الاجتماعي في مواجهة الانحراف الاجتماعي... وهذا ما لخصه في كلمتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللتين تمتدان إلى كلّ معروف أو منكر في خطّ الإسلام.

واقعية الحركة:

وكانت واقعية حركته تنطلق من أنَّ هناك قوماً بايعوه عبر سفيره مسلم بن عقيل. وكانت المسألة هي أنَّ هناك وضعاً في الواقع الإسلامي في المنطقة الحجازية يأخذ شكل ثورة جنينية، عبّرت عن نفسها في واقعة الحرة بعد ذلك، وفي المنطقة العراقية من خلال هذا الضجيج السياسي الرافض الذي كان يتمثّل في أكثر من موقع ولا سيما في الكوفة.

كانت واقعية حركته تنطلق من أنَّ الحجّة قد قامت عليه. لأنَّهم كتبوا إليه: "فقد اخضر الجَنَاة[1] وأينعت الثمار وأعشبت الأرض وأورقت الأشجار. فإذا شئت فأقبل على جند لك مجندة" [2]، ولم يستطع أن يرفض لأنَّ صاحب الرسالة لا يملك حقّ الرفض عندما تقوم عليه الحجّة، ولو في الشكل، في مرحلة من المراحل؛ بحيث تكون الوقائع المحيطة بالتحرّك تمثّل مسألة واقعية في الوصول إلى الهدف. وهكذا رأينا أنَّ الحسين (ع) سار في اتجاه أنَّ هناك مواجهة، وأنَّ هناك وسائل واقعية للمواجهة. حتى إذا عرف خذلان النّاس في الكوفة، وعرف أنَّ المسألة قد اختلفت عمّا بدأت به، كان لا يزال يعيش هاجس المطالبة للنّاس الذين كتبوا إليه ليقيم عليهم الحجّة. ولذلك رأيناه عندما التقى بالحُر بن يزيد الرياحي في الطريق، أخرج إليه الكتب، وبيّن له سبب قدومه، فقال: "قدمت لأنَّ كتبكم جاءت إليّ". ولم يكن الحُر، وربّما لم يكن النّاس الذين معه ممن أرسلوا إليه هذه الرسائل، ولذلك لم يتحمّل مسؤولية ذلك.

ونحن نلاحظ أنَّ كلاً من الإمام الحسين (ع) والحرّ في تلك الفترة لم يكونا يفضّلان الدخول في المعركة، ولذلك انتهى الأمر إلى تسويةٍ عرَضَها الحُر وذلك بأن يسلك الإمام الحسين (ع) طريقاً لا يرجعه إلى المدينة ولا يدخله الكوفة؛ مما يوحي بأنَّ الحر كان لا يريد أن يدخل الإمام الحسين (ع) الكوفة، كي لا يضعه في يد ابن زياد، وإنَّ الحسين كان يحاول أن يرجع إلى المدينة من أجل أن يبدأ تحركاً في اتجاه جديد أو في أسلوب جديد. لذلك كانت التسوية المطروحة أن ينطلق في طريق لا يرجعه إلى المدينة ولا يدخله الكوفة، وهكذا وصل الإمام الحسين (ع) إلى كربلاء.

---

[1] الجَنَاة: كالجنى، وهو الكلأ. أو كلّ ما يُجْنَى.

[2] البحار، ج:44، باب:37، ص:334، رواية:2.

وعندما ندرس السيرة الحسينية كما رواها رواة كربلاء، فإنَّنا نجد أنَّ هناك عدّة أحاديث كانت تدور بين الإمام الحسين (ع) وبين ابن سعد حول تسوية الأمور بالطريقة التي لا توصل المسألة إلى الحرب، ولا تفرض على الإمام الحسين (ع) أن يبتعد عن خطّه أو أن يخضع للحكم الأموي. ولذلك يذكر بعض المؤرخين أنَّ من بين طروحات الإمام الحسين (ع) أن يضع يده في يد يزيد، ولكن مؤرخاً آخر يرفض هذه المقولة، فيقول لقد تابعت المسيرة كلّها ولم يحدث أن عرض الحسين (ع) مثل ذلك. ربَّما كان الطرح أن يلتقي به، وليست هنا وثيقة أساسية في هذا الموضوع؛ ولكن ابن زياد تدخل في المسألة، فأرسل إلى الإمام الحسين (ع) ـ كما حدّث ابن سعد ـ الحر بن يزيد الذي طرح عليه فكرة أن يكون هناك حلّ سلمي ـ كما نقول في هذه الأيام ـ فقال له: إنَّ أميرك لا يقبل إلاَّ بأن ينزل الحسين (ع) على حكمه وحكم يزيد بن معاوية. والحسين (ع) يرفض ذلك لأنَّه يرفض الذل، وكان الإمام الحسين (ع) يعمل، بكلّ مواعظه وحواراته، على اجتذاب هذا الجيش، حتى أنَّ الشمر بن ذي الجوشن عندما دعا العباس وإخوته، باعتبار أنَّ هناك خؤولة بينه وبينهم من خلال أمهم، وامتنع العباس وإخوته من الاستجابة لشمر على أساس أنَّه فاسق لا يريدون أن يكلموه... قال لهم الحسين (ع): "كلموه فإنَّه بعض أخوالكم وانظروا ماذا يريد". إنَّنا نستطيع أن نعرف من كلّ ذلك أنَّ الحسين (ع) كان بمختلف الأساليب يطرح مسألة حل المشكلة بالطريقة التي لا توصل إلى حرب، لأنَّ الحرب لن تكون متكافئة، ولكنَّه عندما فرضت عليه المسألة في حجم الخضوع لحكم ابن زياد ويزيد، عند ذلك أصبحت القضية تمسّ الاستراتيجية ـ كما نقول ـ وتمسّ القضايا الأساسية، وتُحوّل المسألة إلى أن يكون الإمام الحسين (ع) مجرّد شخص يبحث عن نجاته. والحسين (ع) عندما كان يعرض الحلول أو الحوار، كان يبحث عن نجاة الرسالة وعن بدائل لتحرّك جديد يمكن أن ينطلق فيه من اليمن إذا ذهب إلى اليمن، أو إلى المدينة من جديد إذا رجع إلى المدينة وما إلى ذلك. وانتهى الحوار هنا.

لذلك نلاحظ أنَّ الموقف الحسيني كان الموقف الرافض للحالة الجديدة التي أريد لها أن تفرض عليه، لذلك نلاحظ أنَّ الكلمات التي صدرت من الإمام الحسين (ع): "**لا واللّه لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد**"[1] كانت رفضاً للطرح الذي فرض عليه، والذي سوف يؤدي إلى سقوط الرسالة تحت تأثير الاعتراف بحكم يزيد وبحكم ابن زياد. والاعتراف بذلك يعني الاعتراف بشرعية ما يريدون أن يفرضه عليه الحر على كلّ الخطّ الذي يمثّله. من هنا، رأى أنَّ الحوار انتهى إلى طريق مسدود وإلى غير نتيجة. لأنَّه في كلّ

[1] البحار، ج:45، باب:37، ص:7.

مسألة تفاوضية يمكن أن يبقى التفاوض مستمراً، ما دام لا يمسّ القضايا الأساسية التي يُراد لها أن تسقط في نهاية المطاف؛ وعند ذلك لا معنى للحوار.

فالحوار والجدال هما في الإسلام وسيلتان للوصول إلى الحقّ وإلى النتائج الإيجابية الكبرى، وليسا مجرّد حالتين تنطلقان من مأزق يريد الإنسان أن يخرج منه، ولكنّهما يمثّلان أسلوباً إسلامياً في الأخذ بالرفق ما دام الرفق يمكن أن يؤدي إلى نتيجة، حتى إذا لم يؤدِ الرفق إلى نتيجة عند ذلك يأتي العنف. وهذا ما نقرؤه في ما حدّثنا اللّه عن الواقع الذي يقتتل فيه المؤمنون **{ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ }** [الحجرات:9]، عندما لا يكون هناك حل بالرفق، فالعنف هو الذي لا بُدَّ أن ينطلق ليحل المشكلة وليؤكد الخطّ. وعلى هذا الأساس نفهم أيضاً "ألا وإنَّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين؛ بين السّلة والذِّلة. وهيهات منّا الذِّلة. يأبى اللّه لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وجدود طهرت من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام" [1].

ومن خلال ذلك، نفهم الإيحاء الذي نستطيع أن نعيشه في المسألة الحسينية، وهو أنَّنا عندما نواجه القضايا الصعبة والشائكة في المجتمع الإسلامي من أجل القضايا الكبرى، فعلينا أن نفسح المجال في البداية للوصول إلى نتائج إيجابية ما أمكننا ذلك، من خلال الوسائل الموجودة بين أيدينا. حتى إذا أُريد لنا أن نرضخ لوضع يلغي الخطّ كلّه أو يُسْقِط العزة كلّها، عند ذلك يُغلق باب الحوار لينفتح باب العنف، أو باب الجهاد، أو باب القوّة وما إلى ذلك من كلمات تترادف أو تتنوع في خصائصها.

وهذا التحليل الذي نطرحه، هو الذي يجعلنا نصل إلى الفكرة الواحدة في كلّ سيرة الأئمة (ع)؛ وإنَّ كثيراً من النّاس يتساءلون: لماذا انطلق الإمام عليّ (ع) ليسالم في مسألة الإمامة – والحقّ له – في فترة معينة، ثُمَّ ليُحارب في فترة أخرى؟ لماذا بدأ الإمام الحسن (ع) الحرب ثُمَّ وافق على السلم؟ لماذا انطلق الإمام الحسين (ع) مع الإمام الحسن (ع) في حركة السلم وفَضَّل، في موقفه في نهاية المطاف، الحرب؟ لماذا لم يُحارب الأئمة من أهل البيت (ع)؟ هل إنَّ الأئمة لا يوافقون الإمام الحسين (ع) في حركته أو أنَّ المسألة التي تحكم الخطّ كلّه هي، ما هي مصلحة الإسلام وما هي طبيعة المراحل في تأكيد الأسلوب، وما هي النتائج السلبية أو الإيجابية هنا وهناك؟

الحركة الحسينية لم تكن انتحارية:

[1] (م.ن)، ج:45، باب:37، ص:73، رواية:10.

ومن هنا، فإنَّنا لا نعتبر أنَّ حركة الإمام الحسين (ع) تمثّل حركة انتحارية، كما يحاول بعض النّاس السذج أن يصوروها؛ بل كانت حركة منطلقة من خطّة تتمحور حول مسألة المحافظة على عنفوان الرسالة، وعلى عزة الرساليين، وعلى سلامة الخطّ... وعلى رفض إعطاء شرعية الحكم الظالم، عندما يريد أن يفرض نفسه كمصدر للحكم، بحيث يأخذ شرعية الحكم من الرساليين عندما يحكمهم. هذا هو المحور الذي تدور حوله ثورة الإمام الحسين (ع).

ولذلك، فإنَّ علينا عندما نريد أن ننفتح في كلّ مسيرتنا الإسلامية على المسألة الحسينية، أن ننطلق من خلال هذه الخطوط التي ترتكز على خطّ فاصل بين الظروف التي تفرض فيها مصلحة الإسلام العليا الأسلوب السلمي، وبين الظروف التي تفرض فيها أسلوب العنف فالعنف الإسلامي لا ينطلق إلاَّ من خلال مصلحة الإسلام؛ فإذا كان العنف ضدّ المصلحة، فإنَّ الذين يعنفون يخونون الإسلام.

وهكذا، فإنَّ الرفق ينطلق من مصلحة الإسلام في المرحلة التي تفرض الظروف فيها ذلك. فالذين يختارون الرفق في موقع العنف، أو الذين يختارون العنف في موقع الرفق؛ لا يختارون مصلحة الإسلام في ذلك. ولذلك فالإسلام الثوري ليس مجازاً أو حالة نفسية، ولكنّها خطّة مدروسة من خلال كلّ العناصر المتناثرة في الواقع على مستوى الحاضر والمستقبل، والتي تنتج لنا الرفق هنا والعنف هناك.

الثورية والشهادة:

ومثل هذا الفهم للمسألة لا ينفي الإيحاءات المباركة الثورية المنفتحة على الشهادة من حسابات القضية. لأنَّ النتيجة لا تختلف في هذا المجال، باعتبار أنَّ النهاية التي أوصلت الأمور إلى الطريق المسدود، جعلت المصلحة الإسلامية في أن ينطلق الحسين (ع) وأصحابه، ليجسّدوا الإسلام في جهاده في عنفوانه وليؤكدوا الثبات على العهد.

وهذا ما كان الإمام الحسين (ع) يتمثّل فيه بالآية المباركة، عندما يطلب منه كلّ شخص من أصحابه أو أهل بيته البراز للحرب: **{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً }** [الأحزاب:23]. وهذا ما يجب أن نواجهه في كلّ حالة لا نجد فيها مجالاً إلاَّ للمواجهة، باعتبار أنَّ أيّ حل آخر في مصلحة الإسلام لا يكون له واقعية. هذا ما ينبغي لنا أن نتحرّك فيه في خطّ الجهاد الإسلامي، الذي لن يكون جهاداً حسينياً بالمعنى الذاتي للإمام الحسين (ع) ولكنَّه جهاد محمَّدي ـ علوي ـ حسني ـ حسيني حتى ينفتح على كلّ حركة الإمامة في الأئمة من أهل البيت

(ع)، باعتبار أنَّ الجهاد عنوان ينطلق من أحكام إسلامية تقول للإنسان: قف هنا، وتقول له في مواقع أخرى: تحرّك هنا.

بين واقع الحسين (ع) ... وواقعنا:

وهناك نقطة لا بُدَّ أن نرصدها في كلّ واقع المسألة الحسينية، وهي تتمحور حول الواقع الإسلامي. لأنَّ لواقع المسلمين مع الكافرين أحكاماً أخرى قد تختلف مع هذه الأحكام، ولأنَّ طبيعة القضايا المطروحة تختلف عن طبيعة القضايا التي تطرح هنا؛ فنحن عندما نواجه "إسرائيل"، في محاولتها للحصول على الشرعية في وجودها القانوني في فلسطين، فإنَّنا لا نعتبر المسألة مسألة حلول سلمية، لا بُدَّ أن نأخذ بها قبل أن ندخل في الحرب معها. لأنَّ المسألة هنا هي مسألة كافر ظالم مستكبر أخذ الأرض، ويقول لنا: تعالوا فاوضوني على الطريقة التي أتملك بها هذه الأرض منكم، على شرط أن تأخذوا بعض الأرض الأخرى... وهذا منطق ليس فيه شرعية ولو بنسبة واحد بالمئة. ولذا فالقضية ليست مطروحة. إنَّنا نرفض المفاوضات مع "إسرائيل"، حتى لو كنّا نتحدّث عن مفاوضات على الطريقة التي كان النبيّ (ص) يقوم بها مع المشركين، من خلال ما كان يحاوله من تجميد الحرب بينه وبين المشركين ريثما يكمل استعداداته لفتح مكة، أو عندما يُراد التفاوض مع المسلمين الآخرين على طريقة مفاوضات الإمام عليّ (ع) مع معاوية أيضاً. إنَّ هذه القضية يمكن أن تأخذ لها بعض الأبعاد التي قد تفرض علينا مواقف مماثلة، لأنَّها في جميع ذلك لا تنطلق من إعطاء شرعية لمن لا شرعية له، ولا تنطلق من الخضوع لموقف لا يتناسب مع العزة والكرامة للإسلام والمسلمين.

لذلك فالمسالة الإسرائيلية ـ من خلال الحكم الشرعي ـ تتحرّك في نقطتين فقهيتين؛ النقطة الفقهية الأولى، هي أنَّ الغصب حرام حتى غصب المسلم للمسلم، ولذلك فلا يمكن أن يكون الغصب شرعياً في أيّة حالة من الحالات. والنقطة الثانية التي تتصل بالمسألة السياسية **{ولن يجعل اللّه للكافرين على المؤمنين سبيلاً}** [النساء:141]. وفي هذه المسألة لو تنازل الفلسطينيون ـ أصحاب الأرض والذين يملكون هذا البيت وذاك ـ لو تنازلوا لليهود عن أرضهم، فنقول لا شرعية لهذا التنازل، لأنَّ المسلم لا يملك أن يتنازل لكافر عن أرضه بالطريقة التي تجعل السيطرة للكافر على أرض المسلمين وعلى واقعهم. إنَّ المسألة تعيش في هذا الاتجاه، ولذلك كنّا نقول دائماً: حتى لو أنَّ الفلسطينيين وافقوا على الصلح مع "إسرائيل"، على أساس التنازل عن أكثر أرض فلسطين ليأخذوا بعضاً من الضفة الغربية أو يأخذوا غزة، إنَّنا نقول: لا شرعية لذلك، حتى لو أخذوا توقيعاً من كلّ فلسطيني على التنازل عن بيته وأرضه وأملاكه. لأنَّ أحداً لا يملك ذلك في المسألة السياسية، وإذا كانت المسألة

القانونية في الفقه الإسلام لا تمنع مسلماً أن يبيع بيته أو أرضه لكافر، فإنَّ شرعية المسألة القانونية تبقى مرهونة بعدم ضغطها على المسألة السياسية. لأنَّ المسألة السياسية تفرض نفسها على المسلمين، فتمنعهم من بيع بيوتهم لكلّ من يفرض سلطته على الواقع الإسلامي من خلال هذا؛ ولذلك حرّمنا بيع الأراضي لليهود، وحرّم علماؤنا السابقون على كثير من العاملين اللبنانيين أن يبيعوا الأرض التي كانوا يملكونها في "هونين" و "قدس" و "المالكية"، عندما طرحت عليهم مسألة أن يبيعوا هذه الأراضي لليهود قبل احتلال فلسطين. انطلاقاً من هذه المسألة، لا يجوز تسليط اليهود على بلاد المسلمين بطرق قانونية. لأنَّ المسألة لن تكون مجرّد عملية بيع وشراء خاصة يمكن أن تجري بالشكل القانوني العادي.

ولهذا حرّمنا في بعض الأوضاع، التي كانت تعيش في الساحة اللبنانية، على كثير من المسلمين الذين يعيشون في مناطق خاصة، حرّمنا عليهم أن يبيعوا أرضهم حتى لو كانوا في أشدّ حالات الفقر؛ باعتبار أنَّ المسألة تتخذ بُعداً سياسياً يغيّر من واقع المسلمين في لبنان، ويجعلهم في موقع الضعف بدلاً من أن يكونوا في موقع القوّة؛ ولم نحرّم على مسلم أن يبيع مسيحياً في الحالات العادية أرضاً أو عقاراً أو ما إلى ذلك، عندما لا تتصل المسألة القانونية بالمسألة السياسية.

بين مفاوضات... ومفاوضات:

لذلك لا بُدَّ أن تُفهم هذه المسائل بظروفها الحقيقية الواقعية، فلا يقولنَّ أحد لقد صالح الإمام الحسن (ع) معاوية وهو لا يعترف بشرعيته في الخلافة، أو فاوض الإمام عليّ (ع) معاوية في الوقت الذي لا يعترف بشرعيته، وفاوض رسول اللّه (ص) وصالح المشركين في الوقت الذي كانوا في حركة الشرك ومواجهة الإسلام. لأنَّ للقضايا ظروفاً لا تصل بها إلى الخطوط الحمراء الإسلامية. أمّا إذا وصلت إلى الخطوط الحمراء الإسلامية فلا مجال ذلك. الصلح في داخل البلاد الإسلامية بين مسلمين لا يملكون شرعية وبين مسلمين يملكون الشرعية لمصلحة القضايا الإسلامية الكبرى ولمواجهة الأخطار الإسلامية الكبرى؛ هذا أمرٌ مشروع عندما تكون المصلحة الإسلامية الأهم في دائرته، أمّا في الحالات الأخرى، فإنَّه لا يكون مشروعاً عندما يُراد إسقاط القضايا الكبرى.

إذاً على هذا الأساس، القضية الحسينية هي قضية انطلقت في الخطّ الإسلامي الذي يؤكد أنَّه إذا كان هناك مجال للرفق في مراعاة المصلحة الإسلامية العليا، في ما هي القضية الأهم في هذا الظرف أو ذاك، ومع عدم إسقاط الاستراتيجية الإسلامية؛ فإنَّ الرفق يكون هو الأفضل. أمّا إذا انطلقت القضية إلى ما عبّر عنه الحسين (ع) ووقفنا "بين السِّلة والذِّلة"،

فإنَّ علينا أن نقول: "هيهات منّا الذِّلة"، وعلينا أن نتقدّم لنواجه القضايا حتى لو كانت هناك تضحيات.

وعلينا أن ندرس مسألة التضحية في حجم دلالتها على الروح الإلهي وتجلياته، وفي حجم تأثيراتها على الواقع الإسلامي من جهة، وعلى مستقبله من جهة أخرى.

هذه نقطة لا بُدَّ لنا أن نثير التفكير حولها، لأنَّ الكثير مما نستهلكه خطابياً وحماسياً في المسألة الحسينية قد يطرح علينا مفاهيم معيّنة، ليست هي المفاهيم الدقيقة في حركية الإنسان المسلم؛ وعلينا أن نعرف جيّداً حقيقة مهمة وهي أنَّ الثورية لا تعني العنف دائماً، فقد يكون إنساناً ثورياً بأعلى درجة الثورية ولكنَّه هادئ بأعمق حالات الهدوء، باعتبار أنَّه يخطط للثورة بالطريقة التي توصل الحركة إلى أهدافها. وقد يكون هناك إنسان صاخب عنيف يتحدّث بانفعال وبحماس دون أن تكون له علاقة بالثورة. لأنَّه قد يسقط الثورة في استراتيجيتها بحماسه دون أن يقدّم إليها شيئاً. لسنا ضدّ الانفعال والحماس، ولكنَّنا نقول: هناك حماس تختاره لأنَّ الخطّة تفرضه. وهناك حماس يفرض نفسه من موقع الانفعال. إنَّنا ضدّ الحماس المزاجي الذي يمنع العقل من أن يحدّد له مساره، وضدّ الانفعالات الطارئة التي تمنع الخطّة من أن تحدّد له موقعه. إنَّنا ندعو إلى الغضب العقلاني الذي يخطّط فيجعل لنفسه موقعاً في هذه المرحلة أو تلك. ليست المسألة أن يكون هناك هدوء دائم أو انفعال دائم، إنَّ المسألة أن يكون هناك حساب دائم، حساب الرسالة، وحساب المستقبل. عندما نكون الأمّة التي تحسب حسابات الحاضر والمستقبل، وتعرف كيف تؤكد الخطّة بشكل يمكن أن يجعل لكلّ مرحلة دورها ووظيفتها، عند ذلك سنكون الثوريين الذين يعرفون موقع خطواتهم، لأنَّهم يعرفون موقع أهدافهم.

صلة العاطفة بالذكرى الحسينية

ربّما يثير البعضُ الجدل حول طريقة إثارة ذكرى الإمام الحسين (ع)، من خلال التأكيد على العنوان الذي تخضع له هذه الذكرى في امتداداتها الفكرية والعملية في مدى الزمن، وتأثيراتها الإيجابية في وعي الإنسان المسلم والتزاماته، وفي حركيتها الإسلامية في المضمون الإسلامي الحركي في علاقته بعناصر القوّة للإسلام وأهله.

فقد طرح هذا البعض مسألة العاطفة في الذكرى، سواء في المضمون الفكري للمأساة، على مستوى تحريك كلّ العناصر المثيرة للحزن في مفردات قضية عاشوراء بالطريقة التي تستنزف الدموع بشكل مثير؛ أو في الأسلوب الفنيّ البكائي الذي يستغرق في اللحن الحزين الشجيّ، ويوزِّع عناصر الإثارة في كلّ أنغامه وتقاطيعه؛ أو في الممارسات الحادّة المعبّرة عن صراخ الذات في تأثّرها بالمأساة وانفعالها بقضاياها المؤلمة وذلك بالبكاء العنيف، أو لطم الصدور، أو ضرب الظهور بالسلاسل، أو جرح الرؤوس بالسيوف، أو غير ذلك مما اعتاد عليه فريق من النّاس... وأثار الجدل في مشروعية هذه الطريقة من جهة، وفي جدواها على مستوى علاقتها بالأهداف الإسلامية للذكرى من جهة أخرى؛ فكانت هناك عدّة اتجاهات فكرية في هذا الموضوع.

الاتجاه الأوّل:

هو الاتجاه الذي يضع مسألة العاطفة في درجة كبيرة من الأهمية، بحيث يُلاحظ أنَّ الخصوصية الذاتية للذكرى لا يمكن إبعادها عن العنصر الحزين للمأساة في أيّ موقع من مواقع الإثارة؛ الأمر الذي يجعل من العمق العاطفي مسألة حيوية في هذه القضية، فلا مجال للفصل بين إثارة الذكرى في وعي الإنسان، وبين الأسلوب العاطفي، لأنَّ ذلك يعني إبعاد الشيء عن ذاته.

ويُلاحظ ثانياً: أنَّ العاطفة تُتيح للذكرى الاستمرار في خطّ الحياة من خلال تأثيرها في الشعور الإنساني، مما يؤصّل علاقةً عاطفيةً للنّاس بأهل البيت (ع)، تماماً كما هي العلاقة بين الإنسان وبين من يحبّ في انفعاله العفويّ بالمآسي التي تصيبه في نفسه وأهله؛ الأمر الذي يحقّق النتائج الإيجابية الكبيرة في البُعد الإنساني الذاتي في انفتاحه على البُعد الحركي في المسألة الشعورية، مما يؤدّي إلى نتائج مماثلة في البعد الإسلامي الحركي.

ويرى هذا البعض أنَّ الاكتفاء بالمضمون الفكري للذكرى يجعل القضية جامدةً جافّة في الوعي الإنساني، ككلّ القضايا التاريخية المتصلة بالصراع بين الحقّ والباطل التي يتجاوزها الزمن. لأنَّ قضايا الصراع الكثيرة في الواقع الإنساني في المراحل الحاضرة، قد تحمل الكثير من

المشاكل الضاغطة على الفكر والشعور، بالمستوى الذي لا يجد فيه الإنسان فراغاً للاستغراق في التاريخ؛ لأنَّ ضغط الحاضر لا يسمح بالتفرّغ لاستعادة الماضي، فيؤدي ذلك تدريجياً إلى نسيان القضية وإهمالها، إلاَّ في الحالات الطارئة التي قد تدفع ببعض قضايا التاريخ إلى الواقع، في عملية إثارة سريعة لا تلبث أن تذوب ـ بعد ذلك ـ في غمار الواقع الخطير الضاغط على الإنسان.

بينما يمثّل الأسلوب العاطفي، لوناً من ألوان التربية الشعورية، الذي يحوّل القضية إلى قضية متصلة بالذات، تماماً كما لو كانت قضية من قضايا الحاضر. وهذا ما نلاحظه في المسيرة التقليدية لحركة الإنسان في ارتباطه بالمعاني الدينية. فإنَّنا نجد الجانب الشعوري هو الذي يترك الإنسان في حالة استنفار دائم لحمايتها وتحريكها في الواقع، ومواجهة كلّ التحديات المثارة ضدّها من قِبَل الآخرين؛ تماماً كما لو كانت التحرّكات المضادّة موجّهة نحو مسألة شخصية. وهذا ما يجعل من المسائل الدينية والمذهبية مسائل حسّاسة في ساحة الصراع، بحيث تتحرّك الحساسيات في داخلها بالطريقة التي يتغلّب فيها الإحساس على جانب الفكر؛ وتتطوّر في العمق الإنساني لتكون من القضايا السريعة في الإثارة والالتهاب، والشديدة التأثير على مستوى الحوار والمواجهة.

ويُتابع هذا البعض، إنَّ التجربة الواقعية تؤكّد هذا الاتجاه؛ فإنَّنا نرى تأثير قضية عاشوراء في الواقع الإسلامي لا سيّما في الوسط الإسلامي الشيعي، بالدرجة العليا التي لا ترقى إليها أيّة قضية أخرى من قضايا التاريخ الإسلامي المأساوي، على الرغم من مفرداتها الحزينة وعلاقتها ببعض الشخصيات التاريخية التي يحترمها المسلمون ويقدسونها. ولم يكن الفرق إلاَّ في أنَّ عاشوراء تحمل، في أسلوب الإثارة للذكرى، الأسلوب العاطفي بالإضافة إلى الأسلوب الفكري، بينما كان الجانب الفكري هو الذي يحرّك القضايا الأخرى، حتى أنَّنا نرى الكثير من المسلمين الشيعة غير الملتزمين بالإسلام من الناحية العملية، يجدون في عاشوراء قيمة روحية وفكرية تتجاوز كلّ المفردات الأخرى التي يختزنها وعيهم الإسلامي. فهم يتحرّكون فيها كما لو كانت قضية ذاتية، وكما لو كانت شخصياتها متصلة بأوضاعهم الذاتية العاطفية؛ الأمر الذي يجعل أيّ مساس بها مساساً بالذات.

وهناك نقطة أخرى متصلةٌ بالجانب الشرعي للمسالة، فإنَّنا نلاحظ في النصوص الكثيرة الواردة عن النبيّ محمَّد (ص) وعن أئمة أهل البيت (ع) على مستوى التوجيه والممارسة العملية، أنَّها تؤكّد على البكاء وتدعو إليه، وتخطّط للتربية العامّة للأمّة في اتجاه إبقاء هذا الأسلوب في خطّ الذكرى في امتداداتها الزمنية، فقد كان الأئمة من أهل البيت (ع) يشجعون المسلمين الشيعة من أتباعهم على إقامة الذكرى بالطريقة العاطفية الشجيّة،

ويستدعون الشعراء لإثارة التجربة الشعرية بالطريقة الفنيّة المثيرة للعاطفة، بحيث يريدون حشد المفردات المأساوية في داخلها، وتحريك الوسائل الحزينة في إنشاد الشعر، وكان الشعراء يقصدونهم لذلك الغرض، والأئمة يجلسون للاستماع إليهم مع عوائلهم التي تجلس وراء الستار.

إنَّ كلّ ذلك، يدلّنا على أنَّ تحريك المسألة العاطفية في الذكرى ليست مسألة عادية، بل هي من المسائل المهمة في التخطيط الإسلامي لإبقاء هذه القضية حيّة في المنطقة الشعورية للإنسان المسلم على امتداد الزمن، بحيث تتحوّل إلى مسألة تتصل بالضمير الإنساني في علاقة الحاضر بالتاريخ.

الاتجاه الثاني:

وهناك الاتجاه الآخر الذي يجرّد المسألة من العنصر العاطفي ليضعها في دائرة الجانب الفكري، فهو يرى أنَّ قضية الإمام الحسين (ع) ليست من القضايا الإنسانية الذاتية التي تتمحور حول الذات، بل هي من القضايا الإسلامية الكبيرة الخاضعة للعناوين العامّة المتصلة بالمسؤولية الشرعية من جهة وبالخطّ السياسي الثوري من جهة أخرى.

وعلى ضوء ذلك؛ فإنَّ التركيز على العاطفة يبتعد بها عن الطابع الإسلامي العام، ويحوّلها إلى الطابع الذاتي. لأنَّ الاستغراق في المأساة بالطريقة البكائية يملأ النفس بالكثير من الدخان العاطفي الذي يمنع وضوح الرؤية في النظر إلى العناصر الحقيقية المتمثّلة في طبيعتها العامّة، حتى أنَّ الارتباط بالشخصيات القيادية الإسلامية يتحوّل إلى ارتباط شخصي متصل بالجوانب الذاتي في صفاتها الخاصة، ومستغرق بالتقليد الجامد الذي قد يبدو فيه البكاء، وأمثاله من الأساليب العاطفية، شيئاً يتكلّفه الإنسان ليكون نوعاً من أنواع التباكي الذي قد يلتقي بالصورة في معنى الحزن أكثر مما يرتبط بالمضمون، وقد يتحوّل إلى حالة من التنفيس عن الآلام الذاتية التي يختزنها الإنسان في حياته الخاصة، أكثر من التفاعل الجدّي بالقضية التاريخية، فيجد الإنسان نفسه باكياً على مأساته لا على مأساة الإمام الحسين (ع)، باعتبار أنَّ الجوّ العام قد يمنح الإنسان فرصة للتنفيس الذاتي بما يتجاوز معه اللياقات الاجتماعية.

وهذا ما نلاحظه في الجمهور الشيعي العام، حتى على مستوى الوسط العلمي الديني؛ فإنَّنا نجد أنَّ الغالبية منه تعيش الاهتمام بالإيحاءات التاريخية الحزينة، أكثر مما تعيشه من الاهتمامات بالإيحاءات الثورية السياسية في الواقع الإسلامي الحاضر في ما يواجهه من المشاكل الكبيرة الضاغطة على كلّ حاضر المسلمين ومستقبلهم. حتى أنَّنا نرى البعض منهم يعبّر عن ضيقه بالأحاديث التي تتجاوز الحزن إلى الفكرة، ويعتبرها خروجاً عن موضوع

الذكرى وابتعاداً عن طبيعتها، وانحرافاً عن خطّها الديني الأصيل. وقد لا يكتفي بالتعبير عن الضيق النفسي، بل يتجاوزه إلى الرفض العملي الذي يضغط فيه على الساحة كلّها.

وربَّما لاحظنا ـ في هذا الجوّ ـ أنَّ العنصر التقليدي البكائي قد حوّل المسألة إلى مسألة تقليدية على مستوى اعتبارها من الطقوس الدينية العادية التي لا تحمل أيّ مضمون سياسي ثوري، أو أيّ بُعد حركي إسلامي، بحيث أنَّنا نرى الطغاة المنحرفين من السياسيين الشيعة، المرتبطين بالكفر والاستكبار، يقيمون الذكرى بالطريقة البكائية، باعتبارها إحدى التقاليد الشيعية العريقة! ومن الطبيعي أنَّهم لا يسمحون لقارئ الذكرى، أن يتجاوز المسألة العاطفية إلى المسألة السياسية، لأنَّ ذلك يعتبر إدخالاً للدِّين في السياسة. وهذا ما لا تقرّه قداسة التقاليد الدينية!!

ويُتابع أصحاب هذا الاتجاه، بأنَّ هذه الطريقة قد جعلت الارتباط بالإمام الحسين (ع) ارتباطاً ذاتياً يتصل بشخصه ولا يتصل برسالته، حتى أنَّهم يرون في صفته الإمامية الرسالية امتيازاً ذاتياً، لا حركة قيادية في المجرى الإسلامي العام للنهج القياديّ الذي تستغرق فيه الشخصية القيادية في الرسالة في حركة الذات، بحيث تفقد شعورها بالذات في غمار حركة الرسالة، ولا تستغرق في ذاتياتها في أوضاع الزهو النفسي بالعناصر الحيّة في الذات.

وقد نلاحظ ـ في هذا المجال ـ أنَّ هؤلاء العاطفيين الولائيين المخلصين لا يوافقون على اعتبار النهج الحسيني، في مواجهة الباطل والحاكم المنحرف، نهجاً إسلامياً عامّاً يتحرّك به المسلمون في ما يستقبلونه من أوضاعهم التي يسيطر فيها الكفر أو الباطل عليهم، أو يتحكم فيهم الظالمون المستبدون المنحرفون عن خطّ الإسلام المستقيم، بل يعتبرونه نهجاً حسينياً خاصاً ينطلق من الخصوصيات الحسينية الذاتية في ما هي الشخصية الخاصة للحسين (ع) في صفته الإمامية، التي تحمل من الأسرار التي قد تسوّغ له من الأعمال ما لا يمكن تسويغه للنّاس كافة؛ الأمر الذي يجعلنا ننحني أمام القرار الحسيني بالشهادة، ونسلِّم له ذلك من باب التسليم للإمام في ما لا نفهم معناه الشرعي في التكليف العام، في الوقت الذي نثور على الطليعة الإسلامية المجاهدة التي تنطلق من خلال الانفتاح على أجواء عاشوراء الجهادية ـ لتواجه الكفر والاستكبار بقوّة حتى الشهادة، لنصدر إليهم النصائح والتعليمات والفتاوى بحرمة ذلك لأنَّ فيه إلقاءً للنفس بالتهلكة، ولأنَّ عاشوراء لا تحمل الأساس الاجتهادي الشرعي للثورة، ولا تصلح قاعدة عامّة؛ بل هي حالة حسينية غامضة من الناحية الفقهية العامّة؛ فلنرجع أمرها إلى صاحبها من دون أن نتدخل في حركة الأسرار الإمامية.

إنَّ الثورة الحسينية قد تحوّلت ـ بفعل التأكيد على الجانب العاطفي ـ إلى ثورة على الذات بتعذيبها بالصراخ، ولطم الصدور، وضرب الظهور، وجرح الرؤوس... بدلاً من أن تكون ثورةً

على الباطل الذي ثار الإمام الحسين (ع) عليه؛ وأصبحت مسألةً من مسائل المأساة التاريخية، بدلاً من أن تكون مسألةً من مسائل الإطلالة على مآسي الواقع الذي يتحدّانا في كلّ يوم بآلامه وفظائعه.

الاتجاه الثالث:

..ويرى أصحاب هذا الاتجاه: أنَّ مسؤولية العلماء والمفكرين المسلمين أن ينطلقوا إلى هذه القضية ـ المأساة ـ الثورة، ليطرحوها في الجانب الفكري في مسألة شرعية الثورة ضدّ الكفر والاستكبار الداخلي والخارجي، وليحرّكوها في ساحة الواقع الحاضر باعتبارها نهجاً عامّاً للخطّ الإسلامي الحركي القويّ في مواجهة التحدّيات، ولينفذوا إلى داخلها، ليواجهوا مفرداتها بالتحليل العلمي الدقيق الذي يقدّم لنا النموذج الأكمل للإنسان المسلم الثوري الذي يقدّم ذاته للإسلام ويواجه أقسى النتائج في ساحة الصراع الدامي بين الحقّ والباطل، لتكون عاشوراء للعِبرة، لا للعَبَرة.

وبذلك تتحوّل هذه المجالس العاشورائية والمسيرات الكربلائية إلى خطّة حركية في الاتجاه الإسلامي إلى استيعاب الواقع كلّه، ليكون الإسلام هو القاعدة للفكر وللعاطفة وللحياة، في التخطيط الدقيق للمسألة الإسلامية على مستوى المستقبل القريب والبعيد؛ الأمر الذي يفرض علينا الاستفادة من كلّ قضايا الماضي والحاضر والمستقبل في حركة الهدف الكبير.

الاتجاه الرابع:

هناك اتجاه آخر، وهو الموازنة بين الجانب الفكري والعاطفي، فلا يطغى فيها جانب على آخر وذلك باعتبار أنَّ المسألة الفكرية مرتبطة بالشرعية الإسلامية في المسألة الثورية، وبالهدف الكبير في قضية التغيير والحياة والإنسان؛ وذلك من خلال العناصر المتنوّعة التي تختزنها الثورة الحسينية في هذا وذاك، مما يجعلها منفتحة على الحاضر والمستقبل بحيث تحقّق الغنى الكبير للإسلام في مسيرته الحركية.

وفي ضوء ذلك، لا بُدَّ من التأكيد على هذا الجانب، من خلال تحديد الخطوط الفكرية والحركية والفقهية المتصلة بالسيرة الحسينية في الشكل والمضمون، واعتبار المنبر الحسيني موقعاً متقدّماً من مواقع التثقيف الإسلامي. فهو المنبر الذي يجتذب الجماهير الإسلامية اجتذاباً تقليدياً، الأمر الذي منحنا الفرصة للنفاذ إلى عقولهم وقلوبهم من خلال العنوان الإسلامي الكبير للذكرى، فيدفعهم إلى الانفتاح على إسلام الفكرة والحركة والثورة، من خلال انفتاحهم على الإمام الحسين (ع) الذي يمثّل التجسيد الحي لذلك كلّه، فتكون الذكرى مدرسة إسلامية شعبية متنوعة الأبعاد والأساليب، ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الإسلام.

المسألة العاطفية:

أمّا المسألة العاطفية، فهي مسألة إنسانية الأبعاد، إسلامية الروح، غنيّة المؤثرات، كثيرة المعطيات. إنّها تمنح الفكر حرارته وحيويته، وتُخرجه من جموده، وتقوده إلى النشاط والحركة، وتُخرجه من حالة فكرية ليدخل في حالة إيمانية. وهي تزيد الإنسان ارتباطاً بمواقعها، واتصالاً بقضاياها، مما يجعل الحالة الفكرية ـ في خصوصيات المبدأ والشخص والموقف ـ حالةً قريبة من الشعور، منفتحةً على الوجدان بحيث يمنحها ذلك بعضاً من القوّة والانفتاح والثبات في النفس والامتداد في الواقع.

ويتفق هذا الاتجاه مع الاتجاه الأوّل الذي يركّز على ضرورة الارتباط العاطفي بالحسين (ع) والصفوة الطيبة من أهل بيته وأصحابه، تماماً كما هو الارتباط العاطفي بالنبيّ محمَّد (ص) والطاهرين من أهل بيته وأصحابه. لأنَّ ذلك ما يمنح المؤمنين الصلة الروحية بهم، والحرارة في الالتزام الرسالي بالخطّ الذي يلتزمونه والنهج الإسلامي الذي يدعون إليه. لأنَّ المعادلات العقلية لا تُعطي الإنسان حيوية الرابطة الإسلامية الإيمانية بالقيادات الإسلامية التاريخية، لا سيّما الذين ابتعد التاريخ بهم على مستوى القرون والأجيال، مما يجعل من مسألة استعادتهم إلى الذاكرة التاريخية قضيةً متصلةً بالحيوية الذاتية بالإضافة إلى الحيوية الفكرية، ليتكاملا في تحقيق عودة التاريخ إلى الواقع.

ولكنَّ أصحاب الاتجاه الثالث يضيفون المسألة الفكرية إلى المسألة العاطفية، لأنَّ الفكر المنفتح على العاطفة يجعل لها هدفاً كبيراً تتجه إليه، وتذوب فيه، وتتمحور حوله... لئلا تكون العاطفة مجرّد فقّاعات انفعاليةً تتفتّح في الشعور ثُمَّ تنفجر في الهواء، أو حالةً دخانيةً تختنق فيها الذات ثُمَّ تقذفها في الفراغ، أو تكون انفعالاً نفسياً لا يلبث أن يهدأ ويبرد عندما يعبِّر عن نفسه بطريقةٍ تنفيسية بكائية.

إنَّ هذا التزاوج بين الحالة العاطفية والحالة الفكرية هو الذي يحقّق للرسالة مضمونها العميق في وعي الإنسان وحركته، وبذلك تتطوّر الفكرة إلى إيمان من خلال الفكر المنفتح على الشعور، ويتطوّر الإيمان إلى حبّ أو بغض من خلال انفتاح العقل على القلب. وهذا ما نستوحيه من الحديث عن الحبّ لأولياء اللّه والبغض لأعدائه، في المسألة الإسلامية في الالتزام الإيماني للمسلم، باعتبارها دليلاً على الجدية والإخلاص. فإنَّ الملحوظ أنَّ الغاية هنا تلتقي بالوسيلة، وأنَّ المضمون يتحرّك في دائرة الالتزام في الواقع.

ولكن هناك نقطة مهمةً في المسألة العاطفية التي نؤكّد ضرورتها في الذكرى الحسينية، ونتبنّى التركيز عليها انطلاقاً من إنسانيتها الذاتية من جهة، ومن الاقتداء بالرسول (ص) والأئمة من

أهل بيته (ع) من جهة أخرى، ونخطّط . من خلال تخطيطهم . لإقامة الذكريات المعبّرة عن هذه المأساة الحزينة، بمختلف الوسائل والأساليب.

وهذه النقطة، هي مسألة تطوير أساليب الإثارة العاطفية تبعاً لتطوّر وسائل الإثارة الإنسانية في المؤثرات النفسية العامّة والخاصة. فإذا كانت أساليب التعبير عن الفكرة متطوّرة في قضية الإبداع الفني، فلا بُدَّ أن تتطوّر أساليب التعبير عن الشعور العاطفي في قضية الإبداع التعبيري. فربّما كانت بعض الإثارات خاضعةً لمرحلةٍ معينةٍ، فلا تصلح لتحريكها في الواقع في مرحلةٍ أخرى. وقد تكون المسألة متصلةً بالمستوى الثقافي المتخلّف في تأثره بأسلوب معيّن، فلا يكون عنصراً للإثارة في مستوى ثقافي متقدّم. وهذا ما نلاحظه في بعض مفردات الشعر الحسيني، العاميّ والفصيح، التي تنطلق من العادات العشائرية في حثّ النساء للرجال لتحريك حماستهم ونخوتهم وحركتهم. فإنَّنا لو طرحنا مثل هذه المفردات في مجتمع ثقافي متطورٍ، فإنَّنا لا نجده يتأثر بذلك، لأنَّ الحالة الثقافية قد طوّرت حركة عاطفته كما طوّرت حركة فكره.

وعلى ضوء ذلك؛ فلا بُدَّ لنا من دراسة كلّ الوسائل الشعبية المتبعة في هذه الذكرى، مقارنةً بالانطباعات الإيجابية أو السلبية التي قد تثيرها هذه الوسيلة أو تلك في النظرة العامّة في الواقع الإسلامي أو غير الإسلام، وبالعناوين الثانوية التي قد تنطبق عليها في هذه المرحلة أو تلك. لأنَّ العناوين الأولية إذا كانت تقتضي إباحتها في ذاتها؛ فإنَّ العناوين الثانوية قد تقتضي حرمتها بلحاظها، كما لاحظنا ذلك في جواب بعض الاستفتاءات من قِبَل بعض المراجع الكبار حيث علّق إباحة بعض هذه الوسائل، كجرح الرؤوس وضرب الظهور بالسلاسل على عدم استلزامها لهتك حرمة المذهب من خلال النظرة العامّة التي قد تختزن في داخلها السخرية، فإذا استلزمت ذلك كانت محرّمة بسبب حرمة ما يوجب هتك الحرمة للمذهب أو للمسلمين.

وإذا كان بعض النّاس قد يعترض على ذلك بأنَّ الكافرين والمنافقين قد يسخرون من بعض الواجبات العبادية أو غير العبادية مما لا يمكن الالتزام بحرمتها بلحاظ ذلك، فإنَّ الجواب عنه بأنَّ هناك فرقاً بين السخرية بالإسلام ذاته وبالأحكام الإلزامية الواجبة أو المحرّمة، وبالأفعال الواجبة أو المحرّمة؛ وبين السخرية في المباحات أو المستحبات التي قد تمنح الفعل أو الترك عنواناً محرّماً، قد تمنحه عنواناً آخر، مما يمكننا فيه الابتعاد عن عنوان الحرام إلى العنوان الآخر من دون أن نفقد الموضوع الأساس. فقد قامت الضرورة على تأكيد الموقف ومواجهة الساخرين بالرفض الحاسم والمجابهة القوية، بينما تقتضي القواعد الفقهية الابتعاد عمّا يوجب

ذلك، للانتقال إلى وسيلة أخرى متناسبة مع الظروف الجديدة والأساليب الملائمة لإثارة العاطفة بشكل معقول.

إنَّ المشكلة في حديث الكثيرين عن الحكم الشرعي في هذه الأمور، هي إنَّهم يثيرون القضايا بعنوانها الذاتي، من حيث حرمة الضرر مطلقاً، أو من حيث حرمته بانطباق عنوان التهلكة عليه، أو بالمناقشة في الموضوع من حيث صدق عنوان الضرر أو الخطر أو ما إلى ذلك... ولا يناقشونه من الجوانب الأخرى التي تتصل بالعناوين العامّة للخطّ الإسلامي، في نطاق مسألة المصلحة والمفسدة في هذا الموقف أو ذاك.

وأخيراً:

إنَّنا ندعو إلى دراسة الأساليب المثيرة للعاطفة، من حيث تأثيرها على الذهنية الجماهيرية الانفعالية تبعاً لتطوّر وسائل التعبير والإثارة، كما ندعو إلى دراسة المفاهيم التي يجب أن نؤكّدها في مضمون الكلمات والأشعار والمواقف. لأنَّ القضية المهمة تتصل بإبقاء الذكرى الحسينية حيّةً على مدى الزمن في عقل الأمّة وضميرها وشعورها وحركتها في الحياة؛ الأمر الذي يجعلنا نواجه الموضوع بمسؤولية إسلاميةٍ واعيةٍ لكلّ ما حولنا ومن حولنا في حركة التطوّر، من دون الابتعاد عن الخطّ الأصيل.

ونحبّ أن نؤكّد ـ في نهاية المطاف ـ على حيوية الدموع الواعية، والمشاعر المنفتحة، والندبيات الموجهة؛ لتكون ذكرى الحسين مغسولةً بدموعنا في عناصرها المأساوية الحيّة، وممزوجة بدمائنا في مواقع الإحساس ومواقف الشهادة، ومفتوحةً على عقولنا في حركة الفكر الباحث في الدعوة الإسلامية، من خلال عاشوراء، عن كلّ جديد يغني عقولنا ويفتح المستقبل لفجر جديد على خطّ الإسلام في خطّ الحسين (ع).

في كلّ سنة لنا ذكرى مع أجواء عاشوراء، وفي كلّ سنة نستعيد في وعينا وحياتنا كربلاء. لكن قيمة عاشوراء وكربلاء الذكرى أنَّ لها لقاء في كلّ زمن مع الأمّة، تمدّها وتُعطيها من حيويتها، وتدفعها إلى المواقع المتقدّمة في مسيرة الحياة الكريمة... فكنّا نراها شاخصةً في السابق، ونراها الآن تتحرّك في حياتنا لتمنح عطاءها لكلّ بلاد العالم الإسلامي في واقعها الجديد، ومعاناتها الجديدة. فلم تعد كربلاء متصلةً بقصة جغرافية في نطاق بلد معيّن أو دولة معيّنة، بل راحت تتفاعل مع كلّ أرض يعيش فيها المسلم الصراع ضدّ الكفر والظلم والاستغلال والاستكبار، وبدت لنا أكثر من كربلاء، لنا كربلاء هنا، ولنا كربلاء في العراق، ولنا كربلاء في إيران، ولنا كربلاء في أفغانستان، ولنا كربلاء في كلّ بلد يقف فيه الإسلام والمسلمون ضدّ الكفر. ولم تعد عاشوراء ـ عاشوراء الحسين وعاشوراء الشهداء ـ مجرّدة في التاريخ، وإنَّما تحوّلت لتكون منطلقاً في كلّ زمن، وكلّ جيل تتمثّل فيها المجالات التي يقف فيها الإنسان المسلم في كلّ مرحلة من مراحل الجهاد من أجل العزة والكرامة في سبيل اللّه.

عاشوراء في صميم الواقع:

ولكن عندما نتمثّل كربلاء في كلّ أرض يتحرّك فيها الجهاد، وفي كلّ زمن ينطلق فيه خطّ الجهاد؛ لا بُدَّ لنا من أن نعيش هذه الروح، وهذه القضية، وهذا التحرّك بعمق المعاني التي عاشتها تلك الأرض، وبعمق الأهداف التي عاشها أولئك الشهداء.

كي لا تصبح عاشوراء مجرّد زمن يتحرّك فيه الجهاد، لا بُدَّ أن يكون الجهاد الذي نمارسه بحجم فكر الإمام الحسين (ع)، بحجم تطلعاته ووعيه لدوره وإخلاصه لربِّه، وبحجم الأهداف الكبيرة التي يستهدفها للحياة. كذلك لا بُدَّ لنا أن نعيش في أنفسنا وفي حياتنا أجواء أولئك الشهداء الذي قال الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ فيهم: "واللّه ما رأيت أبرّ ولا أوفى من أصحابي إنَّهم يستأنسون بالمنيّة استئناس الطفل بمحالب أمّه".

لا بُدَّ أن نعيش هذه الروح المخلصة للّه سبحانه وتعالى. فكربلاء ليس فيها شيء للذات أو للفئة، أو للإطار. كربلاء كلّها للّه سبحانه وتعالى. القتال كان فيها للّه، والسلم كان فيها للّه، والصلاة كانت فيها للّه، وكلّ العلاقات كانت فيها في سبيل اللّه. لهذا إذا كنّا نفكّر في أي مرحلة وفي أيّ مجال من مجالاتنا العملية في آفاقنا الضيّقة، كما كنا نفكر سابقاً... إذا كنّا نفكر أن يتعلّب كلّ واحدٍ منّا في إطار معيّن أو في شخصيته أو في ذاته، وأن يتعقّد من أخيه المؤمن لمجرّد أنَّه ينتسب إلى ما لا ينتسب إليه؛ فإنَّ عاشوراء ترفضنا

وترفض جهادنا الذي سوف لا يكون للّه، وإنّما يكون للإطار الذي نعيش فيه، وللذات التي نختنق فيها.

وفي الظروف التي تريد منّا أن نعيش فيها الإخلاص للّه تعالى، علينا أن لا نترك للشيطان مجالاً ينفذ فيه إلى أفكارنا ومشاعرنا وعلاقاتنا... فلا نتحاور حوار الذين يعيش كلّ واحد منهم الحذر والتحفظ من الآخر. إنَّ علينا أن نشعر بأنَّ المعركة والمرحلة تصهرنا وتجعلنا أكثر وعياً لدورنا ولساحتنا، وأشدّ إخلاصاً في علاقتنا باللّه سبحانه وتعالى. علينا أن نبدأ هذا الموسم الذي تتفاعل فيه الذكرى مع الواقع، والذي تتفاعل فيه دموع المظلومين عبر التاريخ مع دموع المظلومين والمقهورين في حاضرنا في مرحلة جديدة من تاريخنا الإسلامي ومن دورنا الإسلامي. وعندما نستحضر الآن ذكرى الآلام التي خلّفها الاضطهاد، والكفر والطغيان في عاشوراء التاريخ، علينا أن نرتبط بهذه الآلام التي يعيشها النّاس هنا وهناك، وفي كلّ بلد من بلدان العالم الإسلامي.

إنَّ علينا أن نشحن عاشوراء بدلالات جديدة، مستمدة من واقعنا الذي نعيش فيه. علينا أن نلوّن عاشوراء بلون الزمن الذي نمر فيه، بلون قضاياه ومضمونها... وفي طليعة ذلك قضية الحكم في الأمّة؛ هذه القضية التي يجب أن تُعتبر القضيّة الأساس، التي يفترض على الأمّة أن تتحمّل مسؤوليتها كاملة غير منقوصة، وذلك في سبيل أن يكون لها الحكم العادل الذي يسير على أساس كلام اللّه، وعلى أساس سنّة اللّه ورسوله... أن يكون الحكم قضية الأمّة كما هو طعامها وشرابها، بدلاً من أن يبقى على الهامش، على أساس الفهم والدراية، لا على أساس الانفعال أو الحماس، فإنَّ أخطر ما تواجهه الأمّة في مرحلتنا هذه هي ركوب موجة الانفعال والحماس والعاطفة.

إنَّ العدو يخطط للفتنة بين المسلمين، وعندما نواجه عدواً يخطط للمدى البعيد، علينا أن نخطط كما يخطط، وأن نفكّر كما يفكّر... إنَّ علينا أن لا ننطلق كما انطلقنا في فترات سابقة من وحي الحماس والانفعال، كما إنَّ علينا، أيضاً، أن لا نتأثر بكلّ أساليب التخويف الترغيب... التي يُراد منها أن تهزم الأمّة في كلّ قضاياها العامّة.

عندما نستقبل عاشوراء، علينا أن نستقبلها على أساس ما نحمل من مسؤولية تجاه اللّه سبحانه وتعالى، أن نعيش التقوى في الفكر عندما نفكر، وفي العمل عندما نعمل، وفي علاقاتنا وكلّ أوضاعنا العامّة... وأن نشعر، أيضاً، أن لا صفة لنا إلاَّ أنَّنا مسلمون، وعلى أساس هذه الصفة يجب أن نتصرّف في أوضاعنا وعلاقاتنا وحربنا وسلمنا... يجب أن لا نحرّك رِجلاً إلاَّ بعد أن نعلم ما هو حكم اللّه هنا، وما هو حكم اللّه هناك.

لقد وحّدت عاشوراء أولئك الصفوة الطيبة على اسم اللّه، من خلال الإمام الحسين (ع)، وعاشوراء هذه قادرة أن توحدنا الآن. إنَّ الساحة تحتاج إلى الوحدة اليوم كما كانت تحتاجها في أيّ مرحلة أخرى... الوحدة في كلّ مجال، لا تحاولوا أن تلعبوا بالمصير كما يلعب الأطفال بالكرة. اسحقوا كلّ حساسياتكم وكلّ عقدتكم وكلّ أطركم؛ وليبقى هناك شيء واحد هو كلمة اللّه، ومصير الأمّة... لا تتلاعبوا بمصير الأمّة على أساس هذه الأشياء الصغيرة التي تختلفون عليها { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ } [الصّفّ:4] لكنَّ المهم أن نكون بنياناً مرصوصاً في النفوس قبل أن نكون بنياناً مرصوصاً على الأرض. إنَّ المهم أن تكون نفوسنا مليئة باللّه وبحبّه.

في ذكرى عاشوراء علينا أن نتطلّع إلى الإمام الحسين (ع) في تلك الأرض التي واجه فيها الضلال والطغيان بكلّ قوّة، وواجه فيها الآلام بكلّ فرح روحي. هوّن عليّ ما نزل بنا إنَّه بعين اللّه، عندما تتألمون، وعندما تجرحون... لا تتخاذلوا ولا تهنوا، وإنَّما قفوا وقفة الإمام الحسين عندما أخذ دم ولده الرضيع، وقال، وهو يرفع وجهه إلى السّماء: "هوّن عليّ ما نزل بنا إنَّه بعين اللّه"[1] لنقل جميعاً: هوّن ما ينزل بنا من كلّ الآلام إنَّها في سبيل العزة والكرامة والنصر في مواجهة الكفّار.

إنَّنا نريد أن نعيش في هذا البلد أعزاء كرماء. نريد أن نعيش من موقع إنسانيتنا، من موقع إسلامنا وحريتنا، من موقع كوننا أُناساً نريد الحرية كما يريد الآخرون لأنفسهم الحرية. لهذا فعلينا أن نقول: "هوّن عليّ ما نزل بنا أنَّه بعين اللّه"، لأنَّ اللّه يعلم أنَّنا لا نسير إلاَّ من أجل رضاه، ولا شيء غير رضاه في الدنيا، ورضاه في الآخرة.

[1] البحار، ج:45، باب:37، ص:45.

لماذا أراد أئمة أهل البيت (ع) أن نقيم عاشوراء في كلّ بلد وفي كلّ جيب، حتى أصبحت قاعدة أساسية من قواعد حركتنا الإسلامية في خطّ أهل البيت (ع)، بحيث لو ذهبت إلى شرق الأرض وغربها لرأيت ذكرى عاشوراء تُقام وإن بشكل متنوّع ؟

لماذا إصرار أئمة أهل البيت (ع) على الخطّ العاشورائي في العلاقة مع الإمام الحسين (ع)؟ لقد أرادوا لنا ذلك لأنَّ هذا الخطّ هو خطّ الرفض، الرفض للوثنية وللانحراف وللجاهلية وللظلم ولكلّ الذين يستعبدون وينهبون النّاس، بكلمة واحدة ولكلّ أعداء اللّه، ولكلّ المناهج التي تبتعد عن اللّه. وهذا الخطّ هو خطّ الموالاة لكلّ أولياء اللّه، ولكلّ المناهج التي تنطلق من اللّه، وتتحرّك في خطّ اللّه الذي انطلق فيه الإسلام من خلال رسول اللّه (ص)، وانطلق فيه عليّ بن أبي طالب (ع) والأئمة من خلاله. على أنَّ هذا الخطّ يحتاج إلى قوّة حركيةٍ تهزّ الثائرين عليه في كلّ جيلٍ وفي كلّ وقتٍ، ليقول للنّاس كلّهم: إنَّ الدماء التي سالت في كربلاء هي سر شخصيتكم التي ركّزت القاعدة الإسلامية المنطلقة في خطّ اللّه ورسوله وأوليائه من أئمة أهل البيت (ع). لذلك تذكّروا دماء الحسين؛ لتتذكّروا الإسلام الذي انطلق الحسين (ع) في نهضته من أجل التضحية في سبيله... تذكّروا كلّ الشهداء من الأطفال والرضّع، من الشباب والشيوخ، لتعرفوا أنَّ التزامهم الإيماني بأهل البيت (ع) لم يكن مجاناً، وإنَّما ثمنه كان دم الحسين (ع) ودم أولاده وأنصاره وأهل بيته، بحيث تبقى هذه الدماء النهر الذي يتدفق ويتفجر في كلّ مرحلة تشعرون بها بأنَّ للحرية قضية وللوحدة ضرورة في صفوفكم.

لقد كان أصحاب الإمام الحسين (ع) من عشائر تتوزّع على مجمل الجزيرة العربية، وكانوا . قبل أن يجتمعوا في كربلاء . متفرّقين حتى في خطوطهم وانتماءاتهم السياسية. ولكنَّ صوت الحسين (ع) هو الذي دعاهم وربطهم بالحقيقة الواحدة وبالرسالة الواحدة، فتوحدوا بالحسين، واجتمعوا على اسمه حتى بعد أن جعلهم (ع) في حلّ من بيعته، لكنَّهم شعروا أنَّ البيعة ليست الأمر الذي يربطهم به إنَّما الرسالة التي يؤمنون بها من خلال قيادة الإمام الحسين، والخطّ الذي يتحرّكون فيه على أساس إمامته.

إنَّهم توحدوا بالحسين (ع)، وتوحدت مواقفهم ودماؤهم وكلماتهم، وتوحد الصدق في عهدهم؛ ولذلك كان الإمام الحسين (ع) عندما يستأذنه أيّ شخص من أصحابه يتلو هذه الآية: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم**

مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب:23] كأنَّه يريد أن يقول لهم: يا أصحابي إنَّ وحدتكم هي وحدة الصادقين مع اللّه في عهدهم له.

ماذا طرح الإمام الحسين (ع) من شعارات في كربلاء:

1 . "إنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر"[1].

2 . "لا واللّه لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد"[2].

3 . "ألا وإنَّ الدعي ابن الدعي قد تركني بين اثنتين: بين السِّلة والذِّلة وهيهات له ذلك هيهات منا الذِّلة، أبى اللّه ورسوله والمؤمنون"[3].

4 . "وإنيّ لا أرى الموت إلاَّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاَّ بَرَما"[4].

هذه هي بعض شعاراته، إلاَّ أنَّها ليست شعارات المرحلة التي كان يعيش فيها، لتكون المسألة مجرّد مسألة غارقة في التاريخ؛ لكنَّها شعارات الحياة كلّها، وشعارات الإسلام في كلّ مواقعه. من منّا لا يلمح الإفساد والفساد السياسي على مستوى الحاكم والمحكوم، وحركة الحكم؟

من منّا لا يرى الإفساد والفساد على مستوى الاستكبار العالمي، والإقليمي والمحليّ في كلّ ما يريده الاستكبار من مصادرة لقضايانا المصيرية على مستوى الأمّة وعلى مستوى الوطن؟

من منّا لا يجد أنَّ الواقع يعمل على إفساد الأخلاق الفردية والاجتماعية في داخل الفرد المسلم والمجتمع والأمّة المسلمة، من خلال من يريدون المتاجرة بالأخلاق.

من منّا لم يرفض الواقع الذي يترك فيه الكثيرون من المسلمين عبادة اللّه، في الوقت الذي يقولوه فيه: "أشهد أن لا إله إلاَّ اللّه وأنَّ محمَّداً رسول اللّه"، دون أن يصلّوا ويصوموا أو يحجّوا لبيت ربِّهم، ودون أن يعملوا على إخراج الحقّ المعلوم الذي فرضه ربُّهم للسائل والمحروم في أموالهم وممتلكاتهم؟

من منّا لا يرفض هذا الواقع الذي ترك فيه المسلمون المعروفَ في العبادة والصدق والأمانة والعفّة والوفاء وما إلى ذلك من أصول الأخلاق الإسلامية؟

---

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:329، رواية:2.

[2] البحار، ج:45، باب:37، ص:45.

[3] البحار، ج:45، باب:37، ص:83، رواية:10.

[4] البحار، ج:44، باب:26، ص:192، رواية:4.

من منّا لا يرفض على مستوى الواقع الفردي تعاطي الخمور في بيوت المسلمين وفي دكاكينهم، كما لو كانت شراباً عادياً كبقية المشروبات؟

من منّا لا يرفض القمار الذي يتحرّك بأساليبه البدائية والمتطورة، سواء كان قمار المقاهي الصغيرة، أو قمار المقاهي الكبيرة؟

من منّا لا يرفض الكثير من مظاهر الانحراف في حياتنا، والعلاقات الممزّقة، والفتن التي تتحرّك على مستوى الأفراد والعوائل والأحزاب والطوائف الإسلامية وما إلى ذلك؟

إنَّ مثل تلك المشاكل قد تكون أخطر من المشاكل التي عاشها الإمام الحسين (ع)، وقال فيها: "خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة جدّي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر".

كانت المشكلة السياسية في زمن الإمام الحسين (ع) هي مشكلة الحاكم المنحرف الذي يحاول إعطاء حكمه صورة الإسلام، دون أن يمثّل في عمقه حكم الإسلام. أمّا في واقعنا الحاضر، فنلتقي بالحكّام الذين ينتمون إلى الإسلام، ولكنَّهم يرفضون إعطاء حكمهم حتى صورة الإسلام في الدول الإسلامية. فالإسلام فيها يتمثّل غالباً في مناسبات الأعياد والعطل الإسلامية، أمّا القوانين فهي قوانين (الكفر) وما إلى ذلك وما يستحدثه النّاس في مجالسهم النيابية. وإذا تحدّث إنسان عن حكم الإسلام، وُصِفَ بأنَّه متطرّف؛ وعلامة تطرّفه أنَّه يريد تطبيق الشريعة الإسلامية والقوانين الشرعية. هذا متزمت وعلامة تزمته أنَّه لا يريد لنوادي القمار، ولا لحانات الخمور، ولا لأماكن البغاء أن تأخذ حريتها!

منذ أربعة عشر قرناً من الزمن تقريباً، ونحن نحيا هذه الذكرى في حياتنا، حتى تحوّلت إلى عادةٍ متأصلة متجذّرة في وجداننا الديني؛ ينشأ عليها الصغير، ويهرم عليها الكبير. وما زالت تتنامى وتتسع في كلّ ساحة يتحرّك فيها الإسلام في خطّ أهل البيت (ع). وربّما نجدها تتمثّل حتى في بعض الساحات التي لا تلتزم خطّ أهل البيت (ع) مذهباً. على أنَّ الطابع الذي أخذته هذه الذكرى في تقاليدنا وفي عاداتنا هو طابع الحزن الذي تسيل معه الدموع، وربّما تحترق فيه القلوب.

الحزن القاتل في الحياة:

وعندما يعيش الإنسان الحزن على قضية مرّت عليها القرون المتقادمة، يحتاج إلى تسويغ هذا الحزن، ليكون عنصراً فاعلاً في حياته. فما معنى أن تبكي على مأساة حصلت في التاريخ لأناس تحبّهم من خلال عقيدتك وإيمانك وولائك، وأنت تعيش في أكثر من موقع من مواقع حياتك آلاماً قد تكون أقسى من آلام كربلاء وفظائعها، وقد تكون وحشية ما يلقاه النّاس الذين ترتبط بهم برابط العقيدة، والولاء، والإنسانية في الوقت الحاضر أشدّ فظاعة فتشعر أنَّك تعيش اللامبالاة أمام حركة المأساة في الحاضر. إنَّ ذلك يعني أنَّ حزنك على الإمام الحسين (ع) ليس حزناً إنسانياً رسالياً، ولكنَّه حزن انفعالي جامد لا يتحرّك ليثير فيك حزناً مماثلاً في كلّ صورة شبيهة بصورة كربلاء. لذلك لا بُدَّ لنا أن نفسّر هذا الحزن لأنفسنا، حتى نوحي لها بأنَّ هذا الحزن ليس حزناً ذاتياً، بل هو حزن ينفتح على كلّ مواقع المأساة في الحياة عندما تتحرّك المأساة في ساحاتنا من خلال الذين يضطهدون النّاس على أساس الإسلام، ويقتلون النّاس على أساس التزامهم بالحرية التي يُقدّمها الإسلام، أو من خلال التزامهم بالعدالة التي هي سر حركة الإسلام.

نحن نحبّ الإمام الحسين (ع)؛ نحبّه ونحبّ أخاه، ونحبّ أمّه، وأباه، وجدّه، والأئمة المعصومين من ذريته، وننتظر حفيده لنكون من جنوده، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً... نحبّه لأنَّه أحبّ اللّه، ونحبّ آل بيته جميعاً لأنَّهم أحبّوا اللّه. نحبّه ونحبّهم لأنَّهم حملوا رسالة اللّه، ولأنَّهم جاهدوا في سبيل اللّه، وأعطوا كلّ شيء يملكونه للّه؛ من هنا فحبّنا لهم ليس ذاتياً، وليس حبّ قرابة، أو حبّ صداقة، ولكنَّه حبّ يفرضه علينا انتماؤنا إلى القاعدة التي انطلق منها الإمام الحسين (ع) وتحرّك في اتجاهها.

لقـد أراد الإمـام الحسـين (ع) الإصـلاح في الأمّـة، لا الإصـلاح في العائلـة أو القريـة. الإصلاح على مستوى الأمّة كلّها لا على مستوى الوطن الذي يتأطر فيه الإنسان. لقد انطلق (ع) ليقول لنا: فكروا في قضايا أمتكم من خلال الإسلام الذي حمله جدّي رسول اللّه (ص)، وأصلحوا ما فسد فيها. فكّروا في قضايا الأمّة حتى يكون كلّ واحد منكم مسلماً يحمل همّ الإسلام كلّه، وهمّ المسلمين كلّهم. لا تعيشوا عصبية الذات أو العائلة أو الوطن أو عصبية القوميّة. عيشوا رساليّة الإسلام في كلّ المساحات الإنسانية التي للإسلام فيها قضية، وللرسالة فيها خطّ، وللإنسان فيها انفتاح.

وعندما نفكّر في حجم الأمّة، سينطلق تفكيرنا في قضايانا الصغيرة على أساس مقارنتها بالقضايا الكبرى. فإذا ما أردنا أن نتحدّث عن قضية الحرية ـ على سبيل المثال ـ فيجب أن نثيرها على أساس علاقتها بقضية الحرية في العالم الإسلامي والعالم بأسره، بحيث لا نجعل خطّ الحرية حركةً قد نربح فيها شيئاً ويخسر العالم الإسلامي من خلالها أشياء. بمعنى أنَّ هناك ضرورة للتكامل مع العالم الإسلامي في هذا المجال، حتى نفهم دورنا تماماً كما قال رسول اللّه (ص): "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضها تداعى سائره بالسهر والحمى"[1] تماماً كما هو كلّ عضو في جسدك لا يطلب الراحة والشفاء لنفسه إلاَّ من خلال راحة بقية الأعضاء. فلا يمكن للإنسان أن يعالج يده إذا كان المرض يدب في كلّ أجزاء جسمه، كما لا يمكن أن يُعالج يده بدواءٍ ينقلب إلى داءٍ في جميع أجزاء جسمه. بل لا بُدَّ ـ حين أخذ الدواء ـ من التحقّق من أنَّ هذا الدواء لن تنتج عنه مضاعفات سلبية على الأجزاء الأخرى في جسد الإنسان؛ ولهذا قد يذهب شخص ما إلى بعض الأطباء، فيقولون له: إنَّ هذا الدواء يفيد في معالجة المرض، ولكنَّه يضرّ المعدة، أو القلب، أو جهازاً عصبياً، أو ما إلى ذلك... فلا بُدَّ من البحث عن دواءٍ يشفي المرض ولا يخلق أمراضاً أخرى لبقية الجسد. هكذا عندما نريد أن نفكّر في قضايا الأمّة؛ فإنَّ علينا أن نفكّر بحل المشكلة في بلدنا أو في إقليمنا أو في أيّ موقع يتسع ويضيق من مواقعنا، بحيث لا ينعكس سلباً على قضايا الأمّة. وهذا ما نواجهه في المرحلة الحاضرة في أكثر من قضية من قضايانا العامّة التي تتصل بواقعنا كلّه.

لقد أصبحنا في كلّ بلدٍ نفكّر بحلّ لمشكلة، كما لو كان هذا البلد منفصلاً عن البلدان الأخرى. نفكّر ـ مثلاً ـ بحل مشكلة لبنانية بعيداً عن مشاكل العرب أو مشاكل المسلمين كلّهم، أو نفكّر بحلّ المشكلة العراقية مثلاً بعيداً عن المشكلة العربية أو الإسلامية المتصلة بمواقع الاستكبار العالمي لتلك المشاكل... وهذا وَهْم كبير، إذ لا يمكن أن تُحلّ مشكلة في

[1] البحار، ج:58، باب:43، ص:150، رواية:29.

بلد وتُستأصل من جذورها، إلاَّ إذا استطعنا ربطها بالمشكلة الأم التي توزّع مشاكلها على المواقع كلّها، وإلاَّ فقد يكون ما يصوّر لنا حلاً، قد يكون مجرّد تخدير. هناك فرق بين أن تحل المشكلة، وبين أن تخدّرها. وهناك فرق بين أن تُشفي المرض، وبين أن تخدّره.

قد يستيقظ الألم عند الشروع بعلاجه، لكنَّه سوف يبرأ بعد ذلك، لهذا فإنَّ ما نودّ قوله في مرحلتنا الحاضرة، ضرورة استيحاء كلمة الإمام الحسين (ع) "خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي"، إنَّ الإمام الحسين (ع) كان ينظر في ثورته إلى الساحة الإسلامية الواسعة، وإلى الخطّ الإسلامي الممتد في حياة المسلمين جميعاً. لهذا فإنَّ معارضته ليزيد لم يُعِقْهَا كون يزيد خليفةً يعيش في الشام. والإمام الحسين (ع) كان يعيش في الحجاز وبالتالي فإن هذا أمر لا يخصه، باعتبار أنَّه لا دخل لأهل الحجاز بأهل الشام وعلى كلّ فريق تدبير أمره ومشاكله، أليس هذا هو المنطق الذي نعيشه الآن في أكثر من بلد إسلامي، حيث يعتبر كلّ بلد أنَّ له قضاياه ومشاكله التي يريد حلّها ولو على حساب قضايا الأمّة؟

الإمام الحسين (ع) لم ينظر إلى القضية من هذا الجانب، ولم ينظر إلى يزيد باعتباره مجرّد والٍ على الحجاز يمكن أن يُعزل فتُحل المشكلة، ولا باعتباره والياً على الشام؛ إنَّما نظر إلى يزيد كونه (خليفة المسلمين)، فسلوكه ينعكس سلبياً على السلوك الإسلامي كلّه، وطريقته في إدارة المسؤولية تنعكس سلباً على كلّ مواقع المسؤولية في العالم الإسلامي. وعلى أساس ذلك، فقد اعتبر الإمام الحسين (ع) مشكلة يزيد مشكلة تمسُّ الأمّة كلّها، لا فريقاً معيناً، لأنَّه في موقع حاكم واسع الصلاحيات، في الوقت الذي لا يملك فيه أيّة مؤهلاتٍ فكريةٍ وأخلاقيةٍ وروحيةٍ تسوّغ له أن يكون في هذا الموقع.

وعلى هذا الأساس وجد الإمام الحسين (ع) أنَّ عليه أن يطلق الصوت، ولو ليسمعه بعض النّاس، فالأصوات كانت قد خفتت، وأصبح هناك أمرٌ واقع، كلٌّ يقول للآخر: ماذا نفعل وقوّة الدولة أقوى من قوّة الأفراد؟! وكأنَّ عليهم الاستسلام للدولة. فهذا يخوّف صاحبه بانقطاع راتبه . إذا ما قام بعمل ضدّ الحاكم . وذاك يخوّف صاحبه بتهديم بيته. وبذلك استطاع الحكم أن يستقطب الساحة كلّها من المؤيدين له، ومن المعارضين الساكتين، ومن الحيادين الذين "يجلسون على التل"... لهذا فالمسألة كانت بحاجة لصوتٍ ينطلق، يحرّك ويدوّي، ليربك الساحة، وليخلق فيها ذهنية جديدة، ليشجّع الذين لا يملكون أيّة إمكانياتٍ لحركة شجاعتهم، لأنَّهم لا يرون أحداً يتحدّث أو يتكلم أو يثير المسألة.

إنَّ حركة الإمام الحسين لم تكن حركةً نحو الفتح الكبير على مستوى الواقع، ولكنَّها كانت حركةً نحو الفتح الكبير على مستوى الذهنية الإسلامية التي يريد أن يطلقها باتجاه قضايا الحرية والعدالة، والمنهج الإسلامي القويم. لهذا نبههم إلى أنَّهم أمّة محمَّد (ص)، وأنَّ

هناك فساداً في الأمّة، وأنَّه (ع) انطلق ليُصلح، وأنَّ عليهم أن يتبعوه... وهكذا طرح مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أساس أنَّه يمثّل الرقابة الاجتماعية التي يتحوّل فيها كلّ مسلم إلى "خفير"، فكلّ مواطن في الإسلام هو حارسٌ للقيم وللنهج الشرعي في حياة النّاس.

أجل، إنَّ كلّ مسلم هو حارسٌ للقضايا الكبرى التي يمكن أن يتحرّك ضدّها هذا الفريق أو ذاك. وهذا ما يُسمّى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي دعا اللّه سبحانه وتعالى النّاس إليه، ليهيئوا من أنفسهم جماعةً قويةً بحجم الحاجة، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [آل عمران:104] على أساس أنَّ سلامة المجتمع هي في الدعوة إلى المعروف ومواجهة المنكر الذي يمكن أن يساهم في إسقاط حياة النّاس فكرياً وسياسياً وأمنياً واجتماعياً واقتصادياً.

وعندما طرح الإمام الحسين (ع) هذه المسألة، طرحها بفرض أن تفتح عقول النّاس على هذه العناوين، وأن تفتح أرواحهم النّاس على تحسّس مثل هذه الأمور. ولم يكن في أسلوبه يتحرّك من موقع العنف؛ فقد خاطب النّاس قائلاً: "من قبلني بقبول الحقّ فاللّه أولى بالحقّ"[1] كأنَّه يريد أن يقول للنّاس: فكروا في كلماتي وفي طروحاتي ومواقفي؛ ولا تستغرقوا في ذاتي، ولكن استغرقوا في الخطّ الذي أطرحه عليكم، وفي الواقع الذي أنبهكم إلى كلّ ثغراته وسلبياته. ومن ردّ عليّ ولم يقبلني، فإنَّما يكون رافضاً الحقّ الذي جئتُ به، وانطلقت فيه صابراً حتى يأتي الوقت الذي ينفتح النّاس فيه على الحقّ دون أن أتراجع أو أن أسقط أو أتعقد، ولكنّني أتابع قول كلمة الحقّ الآن وبعد الآن. ولذا فعندما جاءت الجيوش لتقتل الإمام الحسين ولتحاربه، كان يقف في كلّ يوم ليخطب فيهم ليُسمعهم كلمة الحقّ حتى يُخرجهم من عصبياتهم، فيجعلهم يعيشون التوافق والانسجام بين الفكر والممارسة؛ لأنَّه (ع) وجدهم كما وصفهم الفرزدق: "قلوبهم معه وسيوفهم عليه" فحاول أن يجعل السيوف في اتجاه ميل قلوبهم، وحاول أن يوفق بين حركتهم في الواقع، وبين حركتهم في العقل وفي الفكر. لأنَّ هذه هي مشكلة أغلب النّاس الذين يحبّون اللّه، ولكنَّهم يحبّون الشيطان معه. فعندما تنفتح مصالحهم على الخطّ الآخر، يحتفظون بمحبّتهم كعاطفةٍ في قلوبهم، ويتحرّكون في خطواتهم لمحاربة اللّه ورسوله عملياً على أساس أنَّ مصالحهم تتجه في ذاك الاتجاه.

لقد كان الإمام الحسين (ع) يعمل على فتح القلوب، في ما كانت قيادات يزيد تعمل على إغلاقها، ولذلك رأينا شمر بن ذي الجوشن يقف أمام الحسين (ع) وقد فرغ الحسين

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:330، رواية:2.

(ع) من خطابه ليقول له: "ما ندري ما تقول، ولكن أنزل على حكم بني عمك"[1] بمعنى أنَّنا لسنا مستعدين أن نسمع أو نفكر بما تقول، لأنَّ مسألتنا محسومةٌ؛ فهي ليست مسألة قناعةٍ، ولكنَّها مسألة منفعة. وليست القضية أن تكون مسيرتنا حقاً أو باطلاً، خيراً أو شراً... بل القضية هي أن نقبض في مسيرتنا هذا المال أو ذاك، أو نحصل على هذا الموقع أو ذلك.

ولذلك فلا بُدَّ من دراسة قضايانا كلّها لا على المستوى الحاضر، بل على صعيد الحاضر والمستقبل. وهو ما نستوحيه من كلمة الإمام الحسين (ع): "من ردّ على هذا أصبر"[2]. فلنقل الكلمة وليرفضها العالم، فلا بُدَّ أن يأتي وقت يمكن للنّاس أن يواجهوا فيه قضاياهم من موقع متقدّم. لأنَّ الحاضر إذا ضاق عن قضاياكم، فإنَّ المستقبل يمكن أن يفتح لكم أكثر من ثغرة فلا بُدَّ إذن من قول كلمة الحقّ دائماً مهما كانت الصعوبات، فالحقّ كالجنين تماماً؛ فكما أنَّ الجنين لن يستطيع بلوغ تكامله ونموّه إلاَّ في الشهر التاسع، كذلك الحقّ قد يحتاج إلى سنوات، وقد يحتاج لأجيال. المسألة، كلّ المسألة، هي أن نعمل على أساس أن لا يفقد الحقّ نموّه في فكرنا وروحنا ووحدتنا وقوّتنا وفي كلّ صرخات الدعوة إلى اللّه، والدعوة إلى الحقّ.

وإذا ما أردنا عاشوراء إسلامية متحرّكة، فيجب الانطلاق على أساس أن تبقى عاشوراء للّه ولرسول اللّه (ص) وللإسلام، وأن تبقى عاشوراء في كلّ الأجيال صرخة الحرية والعدالة، عندما ينطلق الذين يستعبدون النّاس ليفرضوا عليهم العبودية، أو الذين يظلمون النّاس ليفرضوا عليهم الظلم. فإنَّ هذا هو طريق عاشوراء.

---

[1] البحار، ج:45، باب:37، ص:7.

[2] البحار، ج:44، باب:37، ص:330، رواية:2.

في شرعية الثورة وشروطها من خلال ثورة الإمام الحسين (ع)

قد يتساءل البعض عن سبب الإصرار على استعادة ذكرى الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وصحبه الأبرار في كلّ عام؟ وكي تكون الإجابة وافية، لا بُدَّ أن ندرس المسألة على ضوء صفتنا الإسلامية أولاً؛ فنحن مسلمون تواجهنا في الحياة وفي كلّ جيل من أجيالنا مشاكل وتحديات في مجال الحرية والكرامة، فقد نُبتلى بالذين يريدون فرض العبودية علينا، وبمن يريدون فرض الذل علينا في حياتنا العامّة والخاصة، وقد تواجهنا في الحياة قضيّة العدالة في مسألة الحكم والحاكم الذي يفرض علينا الظلم، في ما يُشرَّع من قوانين، أو ما يتحرّك به من مشاريع، أو ما ينشئه من علاقات ويقيمه من معاهدات وتحالفات مع من يريدون فرض الفقر والتخلّف على أمّتنا.

إنَّ كلّ أجيال المسلمين قد عاشت مثل هذه المشاكل دون شك، ولكنَّ الظروف كانت تختلف بين جيل وآخر؛ فقد تجد بعض الأجيال نفسها في حالة اختناق بحيث لا تستطيع أن تتنفّس بالثورة، وقد تجد بعض الأجيال نفسها في حالة حصار لا تستطيع فيه أن تتحرّك بحريتها، وقد تجد بعض الأجيال نفسها في سعة من الحال على أساس السِعة في ظروفها.

وهنا نريد أن نواجه المسألة نحن كمسلمين، فما هو تكليفنا الشرعي أمام مثل هذه القضايا؟

هل يجوز لنا أن نثور من أجل القضايا التي تتصل بعزتنا؟

هل يجوز لنا أن نثور في القضايا التي تتمثّل بمسألة العدالة فينا أو أنَّه لا يجوز لنا ذلك؟!

ربَّما يفكّر بعض النّاس بأنَّ على المسلمين أن لا يُلقوا بأيديهم إلى التهلكة، لأنَّهم عندما يثورون في وجه الظالم القوي أو المستكبر الطاغي الجائر، فإنَّهم يعرّضون أنفسهم للتهلكة، واللّه يقول: ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ [البقرة:195]، وربَّما يُفكّر آخرون بأنَّ اللّه لا يريد للمسلم أن يكون عبداً لغيره، ولا يريد له أن يكون ذليلاً لأيّ شخص، ولا يريد له أيضاً أن يقبل بالظلم وأنَّ عليه أن يواجه هذه الأمور بطريقة التحدّي والمواجهة، حتى لو أدّى ذلك إلى أن يسقط جريحاً أو صريعاً في المعركة!

كيف نستطيع أن نختار بين هذين الرأيين؟

وكيف نستطيع أن نجد الأساس الشرعي لأيّ من الخيارين؟

وكيف نستطيع أن نحقّق عنصر الإثارة في مواجهة مثل هذه القضايا؟

هناك طريقتان تتكاملان في هذا المجال:

الطريقة الأولى: هي أن نبحث في الكتاب والسنّة، باعتبارهما المصدرين اللذين نأخذ منهما كلّ أحكامنا الشرعية؛ لنجد أنَّ الكتاب الذي قال: ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ وقال: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾ [الحج:78]، فنفهم من ذلك أنَّ الجهاد لا يمثّل حالة إلقاء النفس في التهلكة التي تمثّلها الحالات الانتحارية أو الحالات الذاتية التي يخشى فيها الإنسان الخطر على نفسه، دون أن تكون هناك قضية كبيرة تقف وراء حركته.

أمّا مسألة الجهاد، فإنَّ اللّه اعتبره خطاً من أجل إقامة العدل، ومن أجل تحقيق الحرية للنّاس الذين لا يريد اللّه لهم أن يكونوا عبيداً إلاَّ له.

ومن تأكيد العزّة والكرامة التي يريدها اللّه للمؤمنين، نجد أنَّ القرآن الكريم يقول: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [المنافقون:8]، ويفسِّرها الإمام جعفر الصادق (ع) فيقول: "**إنَّ اللّه فوّض إلى المؤمن أموره كلّها ولم يفوّض إليه أن يُذلّ نفسه**"[1] معنى ذلك أنَّ الإنسان ليس حراً في أن يُذل نفسه، واللّه سبحانه وتعالى يريد للإنسان أن يكون حراً بمعنى أن لا يرضخ لعبودية المستكبرين، ولهذا قال اللّه للمستضعفين الذين فضّلوا العبودية على مواجهة المستكبرين: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً** ﴾ [النساء:97]، ﴿ **وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً** ﴾ [النساء:75]، ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [النساء:100]، إنَّ المسألة أنَّ الملائكة تقول للمستضعفين الذين فضلوا أن يقعوا تحت تأثير الضعف فيستسلموا للمستكبرين إنَّ اللّه يقول لهم: إنّكم في جهنم، لأنَّكم إن لم تستطيعوا مواجهة الكفر في هذا المكان، عليكم أن تخرجوا إلى مكان آخر تستجمعون فيه القوّة؛ ﴿ **إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَـئِكَ** ـ أمرهم موقوف ـ **عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً** ﴾ [النساء : 98-99]. فاللّه لا يريد لنا البقاء في حالة الاستعباد إذا كنّا نقدر على مواجهة الظلم والكفر. وهكذا نستطيع أن نأخذ من كلّ آيات الجهاد، ومن كلّ آيات الأمر

[1] الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج:11، باب:12، ص:424، رواية:2.

بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن كلّ آيات رفض الظالمين وعدم الركون إليهم... شرعية التحرّك في مواجهة الظالم، والتصدي لكلّ قوى الاستكبار والاستعباد والذل في العالم.

..ثُمَّ قد نحتاج إلى القدوة. وقدوتنا في الحياة هي رسول اللّه (ص) في مواجهة المشركين، حيث نأخذ منها ومن آيات اللّه التي تحرّكت متحدّثة عن كلّ حروب رسول اللّه (ص) وانطلقت لتُشرّع القتال للمسلمين: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ [الحجّ:39].

في الإسلام عندما يكون الحاكم جائراً وظالماً، فللمسلمين أن يثوروا عليه. وإذا لم ينسحب الحاكم من الحكم ولم يستسلم للشرعية الإسلامية فمن حقّ المسلمين أن يزيلوه بالقوّة حتى لو قتلوه. وكلّ فئة باغية تحاول أن تقف مع الحاكم الجائر، بالقوّة، ولولي أمرهم الذي يملك شرعية القرار أن يتدخّل، لأنَّ الحكم الجائر عندما لا يترك للمسلمين الحقّ في مواجهته فمعنى ذلك، أن نرضخ لقوانين الكفر ونحن نقول: ﴿**إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**﴾ [البقرة:156].

عندما تكون المسألة مسألة الحكم الإسلامي والعدالة في المسلمين، وحريتهم وعزتهم ومستقبلهم... فلا حرية لأحد في مقابل ذلك. وقد يُثار موضوع ما إذا كان الحاكم مسلماً ينطق بالشهادتين، ولكنّه ظالم ويُعطي البلاد الإسلامية للمستكبرين، وللكافرين وللطغاة، ويمكّن الكافرين من رقاب المسلمين، ويشرّع للمسلمين غير شريعة اللّه... فهل يجوز مواجهته؟

ربَّما يقول البعض أنَّه: لا يجوز لنا أن نقاتل المسلمين. هذا حاكم مسلم يشهد أن لا إله إلاَّ اللّه وأنَّ محمَّداً رسول اللّه، والقرآن يأمرنا بإطاعة أولي الأمر في قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء:59].

وهناك من يقول: لا يجوز القتال في ما بين المسلمين، حتى لو كانت المسألة مسألة إقامة العدل وهدم الظلم؛ ويستشهدون بقول الرسول محمَّد (ص): "**إذا التقى المسلمان بسيفهما على غير سنة فالقاتل والمقتول في النّار. فقيل يا رسول اللّه: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: لأنَّه أراد قتلاً**"[1].

ومن وجهة إسلامية، فإنَّ من حقّ المسلمين، في أيّ بلد إسلامي يتحرّك فيه الحاكم ليفرض سياسة الكفر والطغيان على المسلمين، أن يقاتلوه.

ولكن من أين نعرف شرعية هذه الثورة داخل الحياة الإسلامية؟

[1] البحار، ج:97، باب:2، ص:21، رواية:10.

إنَّ قتال المسلمين لبعضهم البعض لا يجوز في القضايا الخاصة، أو الأوضاع المبنية على العصبية، أو على الحزبية القائمة على العصبية أو على الحالات العشائرية أو على الخلاقات الخاصة... أمّا عندما تتعلّق المسألة بوجود فئة تلتزم خطّ الكفر وتدافع عنه وتعمل على الضغط على المسلمين في حريتهم؛ فإنَّ لوليّ الأمر أن يتدخل ليلاحظ مصلحة المسلمين في ذلك، كما تدخل الإمام عليّ (ص) ضد المسلمين الباغين أيام خلافته بعدما حارب المشركين مع رسول اللّه (ص)؛ وذلك من أجل أن يجعل كلمة العدل في داخل الحياة الإسلامية، ويجعل قضايا المسلمين مرتكزة على الخطّ الأصيل.

إنَّ هناك خطّاً يُراد منه حفظ الحياة الإسلامية. وكما نحتاج إلى سيرة الإمام عليّ (ع) الذي خاض المعركة داخل الحياة الإسلامية، فإنَّنا نحتاج أيضاً لسيرته (ع) وهو يسوّغ استمراره في الخلافة إذ يقول: " **لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز** "[1]. يمكن للإمام (ع) أن يتحرّك معهم في مواجهة الواقع الفاسد، ولولا أنَّ اللّه فرض على كلّ العلماء التحرّك، من موقع علمهم باللّه، أن لا يقارّوا على حالة مظلوم يجوع ويُسلَب ويُنهب ويُذَل... وعلى حالة ظالم يتحرّك لأجل أن يفرض ذلك على المظلوم، "لألقيت حبلها على غاربها ولسقيتُ آخرها بكاس أوّلها ولألفيتُم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز".

لقد ثار الإمام الحسين وأعلن أنَّ الأساس في ثورته هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمعنى قوله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [آل عمران:104] أنَّ من الأمر بالمعروف أمرُ الظالم بالمعروف، وأنَّ من النهي عن المنكر نهي الظالم عن المنكر، وأنَّ من الأمر بالمعروف مواجهة الظالم، مواجهة التحدي، وإجباره على ذلك بالثورة في وجهه لأنَّ الأمر بالمعروف قد يكون بالكلمة، وقد يكون بالموقف، وقد يكون بممارسة القوّة.

كما أنَّ الإمام الحسين (ع) أكّد موقع العزّة عندما قال: "ألا وإنَّ الدعيّ ابن الدعي قد تركني بين اثنتين بين السلّة والذلة وهيهات له ذلك، هيهات منّي الذلة أبى اللّه ورسوله والمؤمنون وجدود طهرت وحجور طابت أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام"[2].

[1] نهج البلاغة، ج:1، باب:3، ص:202. والكظّة: الاستئثار؛ والسّغب: هضم الحقوق.
[2] البحار، ج:45، باب:37، ص:83، رواية:10.

لقد تحرّك الإمام الحسين في المعركة تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي معركة خاسرة من الناحية العسكرية، لكنَّه كان يرى أنَّه لا بُدَّ أن يصدم الواقع حتى يستطيع أن يهزَّ قواعده لتتحرّك الثورات من بعده، لأنَّ الواقع وصل إلى مرحلة استرخى فيها تحت تأثير حكم يزيد؛ ولذلك انطلق النّاس وهم يحبّون الحسين ليحاربوه. لقد كان الوضع الإسلامي مهيّأً لأن يستمر الظلم، بحيث يحرّك النّاس كلّهم في مواجهة كلّ دعوة للحق؛ وبذلك يستطيع التخطيط الكافر في داخل الحياة الإسلامية أن يقدّم الكفر للنّاس باسم الإسلام، ولذلك كان الحسين يشعر بالحاجة إلى صدم الواقع، ولذلك استعد للمأساة حتى أنَّه جلب نساءه وأطفاله معه من أجل أن تمتد الثورة، وتتسع دائرة صداها لتصل إلى كلّ النّاس.

ومن الضروري في كلّ تحرّك وفي كلّ ثورة أن نتعرّف ما هي شرعية حركتنا الإسلامية هنا وهناك، حتى نواجه اللّه من موقع شرعي في كلّ ما عملناه.

لهذا: فحاجتنا في كلّ سنة أن نستعيد ثورة الحسين (ع)، باعتبار أنَّها ثورة لتحريك الواقع الإسلامي الفاسد ضدّ الحاكم الجائر، ولدرء التخطيط الكافر لعملاء الكفر في داخل الحياة الإسلامية، حتى نقول لكلّ الأجيال الإسلامية القادمة: هذا هو الإمام الحسين (ع)، وهو سيِّد شباب أهل الجنّة، وهو إمام من أئمة المسلمين، لا يتحرّك إلاَّ من خلال الخطّ الذي رسمه اللّه.

نعم إنَّ الحسين (ع) يُمثّل لنا القدوة في مسألة الحركة والثورة، حتى داخل الواقع الإسلامي الذي يتَّجه باتجاه فسادٍ يُفسد الإسلام والمسلمين.

إذاً نستطيع أن نأخذ من ثورة الحسين (ع) التي نستعيدها كل سنة، شرعية الثورة في وجه الحاكم الظالم. وإذا أجيز لنا أن نثور في وجه الحاكم الظالم وهو مسلم، فيجوز لنا بطريق أولى أن نثور في وجه الحاكم الظالم وهو كافر. لأنَّه إذا جاز لك أن تثور بوجه المسلم فكيف بالكافر؟

نعم عندما نريد أن ندرس ثورة الإمام الحسين (ع) علينا أن نعرف الظروف التي كان يعيش فيها الحسين (ع) من حيث الإمكانات وطبيعة الجوّ والوضع القائم، وندرس ظروفنا ونقارن؛ فلربَّما تكون مرحلتنا مرحلة الإمام الحسين (ع)، ولربَّما تكون مرحلة أخرى. لكنَّ القضية لا بُدَّ أن تُدرس دراسة دقيقة؛ فمن حيث المبدأ: الإسلام لا يريد للإنسان المسلم أن يسترخي أمام الظلم وأن يخضع له، ما دام يستطيع أن يتحرّك في وجهه. إنَّ الأحكام الشرعية لا تتجمد، فكما قال اللّه سبحانه وتعالى: صلوا، صوموا... فإنَّه قال: جاهدوا. غاية الأمر أنَّ للجهاد شروطاً، في طبيعته وفي حركته وأوضاعه وفي كلّ مواقعه كما للصلاة

وللصوم شروطها. إنَّنا نبحث عن ثائر تمنحنا حركته شرعيةً لحركتنا، وهذا ما لا نجده إلاَّ بالحسين (ع)، وفي أمثال الحسين (ع)، فلنتحرّك في هذا الخطّ؛ وعلى هذا الطريق؛ حتى نركّز المسألة على أساس ثابت متين في كلّ المجالات العملية.

إنَّ العهد كان مسؤولاً:

من الآيات القرآنية الكريمة التي كان يردّدها الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء، كلّما استقبل صحابياً من أصحابه أو فرداً من أهل بيته وهو يستأذنه للقتال، كان يتمثّل بهذه الآية: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب:23]، وكأنَّه بذلك كان يريد أن يُقارن بين هؤلاء الذين ثبتوا معه وبين أولئك الذين حاربوه. فالذين حاربوه كانوا قد عاهدوه من خلال رؤسائهم وفعالياتهم، ومن خلال الأفراد الذين بايعوا مسلم بن عقيل في الكوفة باسمه، وعاهدوه على أن ينصروه ويواجهوا الحكم الظالم معه، وأن يكونوا الجنود المجنّدة في موقفه من ذلك الحكم الظالم... ولكن عندما خوّفهم الطغاة، واستيقظت نقاط ضعفهم في داخلهم ونقضوا عهد اللّه من بعد ميثاقه وأخذوا يقطعون ما أمر اللّه به أن يوصَل، ومشوا في خطّ الفساد في الأرض، فانطبقت عليهم الآية الكريمة: ﴿ **الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [البقرة:27]. لأنَّ اللّه (سبحانه وتعالى) جعل العهد في كلِّ موقع يُعاهد فيه إنسانٌ إنساناً، سواء كان عهداً بين القيادة والنّاس، أو كان عهداً بين النّاس أنفسهم، أو بين القادة أنفسهم. فإنَّ هذا العهد يمثّل عهد اللّه، لأنَّ اللّه أمَرَ بأن يفي النّاس بعهودهم في قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء:34]، وهكذا أعطى هؤلاء العهد من أنفسهم أمام اللّه على أساس أن ينصروا الإمام الحسين (ع) وألزموا أنفسهم بأن يصِلوا ما أمَرَ اللّه به أن يوصَل، وهم أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؛ وقد كان الحسين (ع) هو البقية الباقية من أهل البيت (ع) آنذاك.

لقد انطلقوا وقطعوا ما أمر اللّه به أن يوصَل وأفسدوا في الأرض، باعتبار أنَّ كلّ فئة تُساند ظالماً وتُقاتل معه وتنضمّ إليه، تكون من فئة المفسدين في الأرض. لأنَّ حكم الظالم يمثّل حكم الفساد في الأرض، وأوضاع الظالم تمثّل أوضاع الفساد في الأرض. والحسين (ع) هنا أراد أن يقول: أيُّها النّاس قارنوا الموقف بين المعسكرين؛ بين معسكر النّار والظلم في الأرض، وبين المعسكر الذي انضمّ إلى الإمام الحسين (ع). وقد تحدّث اللّه عنهم في كتابه المجيد، في قوله: ﴿ **أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ**

أُوْلُواْ الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ ﴾ [الرعد:21.19].

الالتزام بالحسين إماماً:

وهكذا أراد الإمام الحسين (ع) تركيز هذه القيمة الإسلامية من خلال النّاس الذين وقفوا معه واتبعوه وصدقوا ما عاهدوا اللّه عليه؛ ذلك أنَّهم عندما جاءتهم المشاكل وأراد منهم الآخرون تغيير موقفهم رفضوا التبديل وأصرّوا على البقاء مع الإمام الحسين (ع)، حتى عندما وقف الحسين (ع) ليُحلِّهم من بيعته، إذ قال لهم: "إنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم حرج مني ولا ذمام. هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً"[1] ولكنَّهم لم يغيّروا ولم يبدّلوا بل قالوا: "لا نتخلى عنك يا ابن رسول اللّه حتى لو قُتلنا وقطّعنا وأحرقنا"، لأنَّنا ننطلق في الوقوف معك والالتزام بخطّك من خلال كونك ولي اللّه وابن وليّه، ومن خلال كونك إمام هذا الدين وقائد المسلمين. قالوا له: يا ابن رسول اللّه لقد التزمنا بالإسلام . بكلّ أحكامه ومفاهيمه . والتزمنا بقيادتك على أساس أنَّها القيادة الإسلامية التي ركّزها رسول اللّه (ص) بقوله: "حسين مني وأنا من حسين"[2] وبقوله: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة، الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا"[3]. فالتزمنا قيادتك لأنَّ رسول اللّه أراد لنا أن نلتزم قيادتك في إمامتك.

وحين صرختَ: "**إنّي لم أخرج أشِراً ولا بطِراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي**"[4] وحدّدتَ طبيعة ثورتك الإصلاحية كونها تسعى لإصلاح ما أفسده الظالمون والمنحرفون من الواقع الإسلامي الذي تحرّك في أمّة رسول اللّه (ص)؛ سرنا معك لأنَّ اللّه أراد منّا أن نُصلح أمور أمّتنا أيضاً، فلستَ وحدك المسؤول عن ذلك بل نحن أيضاً مسؤولون عن دعم حركة الإصلاح وتقويتها بالانطلاق معك تثبيتاً لموقفك، لأنَّ كلّ مسلم ومؤمن مسؤول عن طلب الإصلاح في أمّة رسول اللّه (ص) لأنَّ رسول اللّه قال للأمّة كلّها: "كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته"[5].

الإصلاح مسؤولية الجميع:

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:393، رواية:2. والذِّمام: العهد.
[2] البحار، ج:43، باب:22، ص:261، رواية:1.
[3] البحار، ج:43، باب:12، ص:291، رواية:54.
[4] البحار، ج:44، باب:37، ص:329، رواية:2.
[5] البحار، ج:72، باب:35، ص:39، رواية:36.

إنَّ الإصلاح في أمّة رسول اللّه هو مسؤولية كلّ فرد من أفراد هذه الأمّة، كلّ بحسب دوره وإمكاناته في كلّ المجالات، لذا قالوا له يا ابن رسول اللّه لقد قلت: أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، لأنَّك رأيت المعروف، الذي يتمثّل في طاعة اللّه في كلّ قضايا الإنسان والحياة يُترك، ورأيت أنَّ النّاس يتركون طاعة اللّه في عباداتهم ومعاملاتهم. وفي حربهم وسلمهم وفي كلّ علاقاتهم. ورأيت المنكر ـ وهو كلّ ما حرّمه اللّه، وأنكر أن يُفْعَل ـ قد عمّ. فالنّاس يرتكبون المحرّمات ويلتزمون الظالمين ويدعمون المنحرفين، ولا يرفعون في وجوههم صوتاً... لذلك قلت: أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. وكنّا يا ابن رسول اللّه معك، لأنَّ اللّه حمّل كلّ مسلم مسؤولية أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر، ولأنَّ رسول اللّه (ص) حذّر المسلمين من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنذرهم أنَّهم في هذه الحال سيقعون في مصائب كثيرة وبلايا عديدة، وقال في ما قال: "لتأمرنّ بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن اللّه شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم"[1] وأمر رسول اللّه هذا موجّه للجميع، ولهذا فنحن مأمورون بأن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر، كما أنت يا ابن رسول اللّه مأمور بذلك. مأمورون بأن ندعم الذين يأمرون بالمعروف إذا كانوا في موقع القيادة أو المسؤولية وأن نثور معهم على الظُّلم إذا ثاروا، وأن نكون معهم في خطّ العدل؛ وقد قلت: فمن قبلني بقبول الحقّ فاللّه أولى بالحقّ"[2].

الانقياد للحقّ:

لم تُرِد للنّاس أن تقبلك لشخصك، إذ قلت لهم: أيُّها النّاس اقبلوا الحقّ، فإذا قبلتم الحقّ ورأيتم أنيّ على الحق فاقبلوني، وإذا قبلتموني باسم الحقّ فهذا من مسؤولياتكم وواجباتكم أمام اللّه. إنَّما أنتم تقبلون الحقّ الذي هو أمر اللّه (سبحانه وتعالى) وصنعه "فمن قبلني بقبول الحقّ فاللّه أولى بالحقّ"، إنَّ اللّه هو الذي يكافئ من يقبل الحقّ.

لقد قال الإمام الحسين (ع) ذلك لأنَّه قيادة تريد للنّاس أن لا تلتزم بشخصها، بل بالحقّ الذي تمثّله في شخصيتها وفي واقعها. لقد قلت ذلك يا ابن رسول اللّه ونحن معك فيه. لقد قالها أصحاب أبي عبد اللّه لأبي عبد اللّه بموقفهم، وإن لم يتفوهوا بها بألسنتهم. قالوا يا ابن رسول اللّه لقد قبلنا بالحقّ، الذي رأيناك إمامه، لذا سنقبلك لأنَّ الحقّ يتجسّد فيك والقيادة كذلك، ولأنَّ رضاك رضى اللّه وسخطك سخط اللّه، ولأنَّك لا تنحرف عن طريق اللّه كما لم ينحرف عنه جدُّك وأبوك وأخوك، لأنَّ الحقّ عنوان شخصياتكم ودعوتكم وحركتكم.

---

[1] البحار، ج:90، باب:24، ص:378، رواية:21.

[2] البحار، ج:44، باب:37، ص:330، رواية:2.

الثبات في موقع الحقّ:

هذا ما قالوه له. ولقد ثبتوا على القول عندما جاءتهم كلّ التهاويل، وتجمّعت العساكر الكثيرة في وضع غير متكافئ، وكانت جماعة الحسين (ع) من سبعين إلى ثلاثمائة رجل ـ على اختلاف الأخبار ـ بينما كانت جماعة ابن زياد أربعة آلاف رجل على أقل تقدير؛ وهناك إحصاء يقول: إنَّهم كانوا ثلاثين ألفاً، فلم يكن هناك أيّ نوع من أنواع التوازن بين هذه الفئة القليلة وتلك الفئة الكثيرة. ووقفت جماعة ابن زياد تستعرض قوّتها، وتعمل على هزّ قوّة أولئك المؤمنين السائرين مع الحسين (ع)، ولكنَّهم لم يُفلحوا في إسقاط عزيمتهم وبقيت هذه القلّة ثابتةً في مواقعها. وبدأت تتحرّك في الخطّ الإسلامي الذي انفتح على اللّه فانفتح على الحسين من خلال اللّه؛ والذي انفتح على شريعة اللّه فانفتح على الثورة في خطّ هذه الشريعة، وهكذا وقفوا وكانوا يستأذنون الحسين (ع) في القتال. وكان الحسين يستقبل كلّ واحد منهم بهذه الآية: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ ـ صدقوا بالكلمة وبالموقف ـ ﴿ **فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ**﴾ ـ ويشير الإمام الحسين (ع) إلى الذين استشهدوا معه ـ ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ**﴾ ـ ويشير إلى الذين يتحرّكون في خطّ الشهادة ـ ﴿**وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب:23]. وتلك هي قصة المجاهدين مع الحسين (ع).

علينا أن نتساءل: هل هناك عهد بيننا وبين اللّه أم لا؟ هل هناك عهد بيننا وبين الحسين عبر رسول اللّه أم لا؟ تلك هي المسألة.

الإنسان المسلم والصفة الإسلامية:

عندما ندرس المسألة بصفتنا مسلمين... سنجيب عن تلك الأسئلة بسهولة، لا بالصفة العائلية أو الإقليمية أو القومية أو غير ذلك من الصفات الطارئة، لأنَّ الصفة الإسلامية هي التي تحدّد المواقف الإقليمية والقومية للمسلمين.

إنَّ العائلية والقومية والإقليمية والوطنية رموز قد تتحرّك مع الإنسان في الدنيا. أمّا في يوم القيامة، ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ** ﴾ [المؤمنون:101]. فيُسأل عن موقفه من ربِّه ومن رسوله، وكتابه وشريعته.

وهكذا علينا تأكيد صفتنا الإسلامية، التي يجب أن تحدّد صفاتنا الأخرى على ضوء الإسلام.

الشهادة التزام بالعهد:

إنَّ قول أشهد أن لا إله إلاَّ اللّه وأنَّ محمَّداً رسول اللّه معناه الالتزام بعهد اللّه. لأنَّ قول «أشهد أن لا إله إلاَّ اللّه» يعني يا ربِّ إنّي ألتزم بوحدانيتك في الألوهية ولا ألتزم بغيرك، إذا كان ذلك يبعدني عن التزامي بك. وقول: «أشهد أنَّ محمَّداً رسول اللّه» يعني الالتزام برسول اللّه من خلال الرسالة التي حملها من اللّه، لأنَّ طاعته من طاعة اللّه؛ ﴿ **مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ** ﴾ [النساء:80]، فالتزام عهد اللّه في العقيدة هو في توحيده وعدم الشرك به في شيء، وعدم الاعتقاد بوجود إلهٍ غيره؛ وفي العبادة بعدم إطاعة أيّ مخلوق أو شيء إلاَّ في ما يتفق مع طاعته.. هذا هو الالتزام برسول اللّه، الذي أرادنا أن نطيعه في ما يأمر.

إذاً: نحن في عهدٍ مع اللّه، ومع رسوله، وفي عهد مع الحسين(ع)، عندما نحتضن الحسين في كلّ سنة، في مجالس عاشوراء، تعبيراً عن الالتزام بخطّه والالتزام بثورته.

ولكن لنتساءل: هل صدقنا اللّه عهده؟ أو نقضنا عهد اللّه؟

إنَّ من يلتزمون بغير الإسلام خطّاً للعقيدة وللشريعة وللحياة هم ممَّن نقضوا عهد اللّه، لأنَّ اللّه أراد أن نلتزم بشريعته. فالالتزام بأيّة شريعة أخرى هو مخالف لالتزامنا ذاك. وإنَّ الالتزام بقيادة لا تعبّر عن شريعة اللّه وأمره ومنهجه هو التزام بغير عهد اللّه. وهكذا عندما نسيء إلى من أراد أن نُحسِنَ إليهم ونرحمهم ونعزّزهم ونحترمهم، نكون ممن يقطع ما أمر اللّه به أن يوصل؛ وعندما نخذل العادلين، ونلتزم جانب الظالمين بتسويغ ظلمهم، ومهاجمة العادلين في عدلهم؛ عندما نخذل الصادقين، ونتّبع الكاذبين، عندما نسكت عن الحقّ، ونحن قادرون على أن نتكلّم به... فنحن نخون عهد اللّه. عندما نكون مع الذين ينقضون عهد اللّه، إنَّما نسوّغ لهم ظلمهم وفسادهم، ونكون في غير خطّ عهد اللّه.

هذا الوعي لمسألة أنَّ بيننا وبين اللّه عهداً؛ من الأمور التي لا بُدَّ أن يعيشها المرء في كلّ حياته الخاصة والعامة، وفي كلّ المجالات التي يتحرّك فيها. وقد قال اللّه سبحانه وتعالى لليهود من بني "إسرائيل"، عندما أرادوا منه أن يعطيهم ما وعدهم به: ﴿ **وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ** ﴾ [البقرة:40]. إذ ليس من المعقول أن ألتزم بعهدي مع إنسان لم يلتزم بذاك العهد.

عهد اللّه بالجنّة:

لقد أعطانا اللّه العهد أن ندخل الجنّة إذا سرنا في الطريق الحقّ.

المسألة ليست مسألة تمنيات ولكنَّها مسألة مواقف. واللّه عندما أرسل رسوله، إنَّما أرسله من أجل أن يغيّر العالم، ومن أجل أن يغيّر الإنسان ليتحرّك من خلال الحقّ، والخير والعدل.

وإذا لـم نستطع أن نغيّر الواقع؛ فعلينا أن نعمل من أجل إرباك الخطط التي تسعى لأن تفرض علينا ما لا نريده، وأن نتابع السير حتى لا يُشرعِن الآخرون ظلمنا وعبوديتنا. لأنَّ المجتمع الذي يسترخي أمام قوّة الأقوياء، سوف تسحقه أقدام أولئك الأقوياء. لا يكفي أن يكون لدينا تاريخ مشرق يرتبط به واقعنا الحاضر، بل يجب أن نعرف هل أنَّ هذا الواقع الحاضر يتحرّك في خطّ ذلك التاريخ، أو ينحرف عنه؟

"**إنَّ المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين**"[1]، وقد لُدِغنا في كثير من المواقع أكثر من مرّة، فعلينا أن نعرف طبيعة ما هناك من عقارب، ومن جحور تختبئ فيها العقارب، وطبيعة ما هناك من غطاء يمكن أن يحجب عنّا بعض الأفاعي والعقارب.

[1] البحار، ج:19، باب:10، ص:346، رواية:83.

كيف نستطيع استيحاء ذكرى الإمام الحسين (ع) في حركتنا الإسلامية الصاعدة.

هل نحصر حضورها فينا في إطار الأمجاد التاريخية التي تزهو بها الأمم والشعوب تأكيداً على كونها ذات جذور عميقة في الماضي؟

أو ننطلق بها، في كلّ مفرداتها الفكرية والروحية والحركية، لنعيش إيحاءاتها المتنوعة، كما لو كانت حدثاً مفتوحاً على الحاضر في تطلّعاته المستقبلية؟

قيمة التاريخ في العبرة:

إنَّ الجواب عن هذا السؤال ينطلق من القاعدة القرآنية الإسلامية التي تركّز على أنَّ الماضي هو مسؤولية الذين عاشوه وصنعوه، في الدوائر السلبية والإيجابية، وذلك قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة:134].

فليس المجد التاريخي مجداً لنا بالمعنى الحركي للمجد، بل هو مجد الأبطال الذين صنعوه. فنحن لم نصنعه، ولا علاقة لنا به، حتى لو كنّا أبناء هؤلاء، ولن نحصل على أيّ ثواب عليه؛ ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى**﴾ [النجم:39ـ41].

إنَّ قيمة التاريخ ـ في الإسلام ـ هي قيمة العِبرة التي تفتح الحدث على الفكرة، وترصد الثوابت التي لا تخضع في خصوصياتها للفترة الزمنية، بل تشمل كلّ خطوط الزمن لأنَّها خصوصيات الحياة كلّها وهذا ما يجعلنا نرتبط بالشخصيات الإسلامية القيادية في مستوى النبيّ (ص) والأئمة (ع)، لأنَّ حركتها ليست حركة اللحظة التي عاشت فيها، بل هي حركة الرسالة المتجسّدة في خطواتها الفكرية والروحية والعملية. فنحن نرى أنَّ قول المعصوم وفعله وتقريره، يمثّل الخطّ الشرعي الذي يؤكد لنا شرعية الخطّ الذي ينطلق منه ويتحرّك فيه. وبهذا كانت الرسالة حركةً في وعي الرسول وفي سلوكه، كما كانت انفتاحاً على الآفاق العامّة والخاصة في ذهنية الإمام وكلماته وخطواته.

الأبعاد الرسالية لثورة الإمام الحسين (ع):

وفي ضوء ذلك، لم تكن حركة الإمام الحسين مجرد حركةٍ سياسيةٍ، بالمعنى التقليدي للكلمة بل هي حركةً إسلاميةٌ في معنى الإسلام في الثورة، بحيث نلتقي فيها بالأبعاد الرسالية

في خطوطها التفصيلية التي تحدّد لنا شرعية النهج الثوري المتحرّك في نطاق التضحية حتى الاستشهاد، وفي طبيعة الظروف الموضوعية المحيطة بالحدث الكبير في تلك المرحلة، وفي الظروف المماثلة لها في المراحل الأخرى؛ الأمر الذي يجعلها حالةً تطبيقية للخطّ الإسلامي النظري في الصراعات الداخلية التي يعيشها الواقع الإسلامي بين خطّ الاستقامة وخطّ الانحراف، في الموقع القيادي الشرعي أو في الموقع المتمرّد على الشرعية.

فلم يكن الحسين (ع) ثائراً يتمرّد على الذل من موقع إحساسه الذاتي بالكرامة، أو التزامه العائلي بالعزّة؛ ولم يكن إنساناً متمرّداً على الواقع في المزاج التمرّدي الذي يرفض الأوضاع الخاصة التي لا تنسجم مع مزاجه، كبعض الثائرين أو المتمرّدين الذين ينطلقون في ثورتهم وتمرّدهم من حالة انفعال عامة لا تملك أيّ نهج في الخطوط التفصيلية للسلوك العملي في هذا الاتجاه. بل كان مسلماً في ثورته وتمرّده، على خطّ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" الذي يفرض على المسلم الثورة على واقع الانحراف من أجل أن يغيره نحو واقع الاستقامة.

وهذا ما يفرض علينا أن ندخل في عملية مقارنة بين ظروف المرحلة التي عاشها الإمام الحسين؛ وظروف المرحلة التي نعيشها، في طبيعتها، وفي مفرداتها، وفي خطوطها المستقبلية، وفي تحدياتها الفكرية والعملية... لنتعرّف من خلال ذلك على معنى الشرعية في حركتنا في الظروف المماثلة. وهذا هو ما نلاحظه في الكلمة الأولى التي بدأ بها الإمام الحسين حركته في ما يتحدّث به الرواة من سيرته أنّه خطب في أصحابه فقال:

"أيُّها النّاس إنَّ رسول اللّه (ص) قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم اللّه، ناكثاً بعهده، مخالفاً لسنّة رسول اللّه، يعمل في عباد اللّه بالإثم والعدوان... فلم يغيّر ما عليه بقول ولا بفعل، كان حقّاً على اللّه أن يدخله مدخله.

وقد علمتم أنَّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام اللّه وحرّموا حلاله"[1].

الثورة بداية التغيير:

إنّها الثورة على السلطان الجائر، المستحِل لحرمات اللّه في عباده، والذي لا يرى لأحد حرمةً أمام طغيانه واستبداده، الناكث لعهده فلا يُعاهد أحداً إلاّ لينقض عهده معه على أساس انتهاز الفرص التي يستفيد منها لمصالحه، لينتقل بعد ذلك إلى فرص أخرى لمصالح أخرى، بعيداً عن أخلاقية الإنسان الذي يحترم كلمته ويلتزم بعهده. لأنَّ الالتزام بالعهد لا

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:382، رواية:2.

ينسجم مع خططه الذاتية وأطماعه المادية وشهواته الغريزية... الأمر الذي يجعل إسلامه شكلاً كلامياً لا يقترب من الصدق في الالتزام ولا في الاستقامة في خطّ السير.

العامل في عباد اللّه بالإثم والعدوان، هو الرّجل الآثم في تعامله مع النّاس، العدواني في تصرفاته معهم. لأنَّه لا يعيش مسؤولية الحكم على أساس العدل، ولا يحترم النّاس في علاقته بهم على أساس المسؤولية، فهو الوحش في صورة الإنسان.

هذا هو الإنسان الذي يجب أن تقوم الأمّة بالثورة عليه، لتغييره واستبداله بإنسان آخر من خلال الكلمة الثائرة والموقف القويّ الحاسم. فلا عذر للقادرين على عملية التغيير، أن يبتعدوا عن ساحة الصراع ضدّه، والثورة عليه، ولا مجال للحياد بينه وبين الحاكم العادل.

وهكذا كان الحسين يتحدّث عن الخطّ العريض للجانب الفكري من خطّ الثورة. أمّا الجانب التطبيقي في ساحة الواقع، فهو فريق الحكم الذي عاش في عصره. فهؤلاء النّاس، في صورة الحاكم وأتباعه، هم الذين تركوا طاعة الرحمن ولزموا طاعة الشيطان، فابتعدوا عن اللّه سبحانه في حياتهم واقتربوا من الشيطان في ذهنياتهم وخطواتهم، وبدّلوا الشريعة في نهجهم وطريقتهم؛ فإذا بالحلال يتحوّل إلى حرام عندهم، وإذا بالحرام ينقلب حلالاً في سلوكهم.

ثُمَّ كان من أمرهم أن استأثروا بثروة الأمّة فحوّلوها إلى ثروة شخصية، وعطّلوا الحدود التي أراد اللّه للعباد أن يقفوا عندها ولا يتجاوزوها، فأضاعوا النّاس والحياة والدِّين كلّه.

ولا بُدَّ للحسين أن يغيّر بقوله وبفعله.

وكانت الثورة الاستشهادية هي بداية التغيير من أجل أن تطلق الصرخة المدويّة، المضرّجة بالدماء، المنفتحة على كلّ الحقّ والعدل والعزّة والكرامة والإنسان والحياة في حركة الحاضر نحو المستقبل.

تلك هي صورة التحدّي الحسيني في مواجهة الواقع المنحرف في داخل الواقع الإسلامي، لأنَّ الحركة كانت حركة داخلية في ما يعانيه الوضع الإسلامي العام للأمّة على مستوى الحكم والحاكم.

فماذا عن مرحلتنا في ظروفنا المعاصرة؟

إنَّنا نواجه التحدّي الكبير في الاستكبار العالمي الذي يطبق على الواقع الإسلامي كلّه، في ثقافته وسياسته واقتصاده وحربه وسلمه... من خلال إطباقه على الواقع الإنساني كلّه. كما نواجه التحدّي الآخر في الانحراف الداخلي في الحكم الذي لا ينطلق من العدل في حركته تجاه المحكومين؛ الأمر الذي يجعل الواقع أكثر خطورة في طبيعته وفي نتائجه السلبية على مسيرتنا كلّها، ومن الواقع الذي عاشه الإمام الحسين في مرحلته، فقد كان الحكم في عصره

يجعل الإسلام شعاراً له، ولكنَّه كان ينحرف عنه في خطّ السير ونهج الحركة، فهل نستطيع أن نبتعد عن خطّ الثورة في ذهنية المسلم الثائر؟ وهل نملك أن نتنكّر لحركة التغيير، في وعي الواقع العملي لروحية التغيير؟

لا بُدَّ أن يكون كلّ واحد منّا مشروع ثائر في الخطّ والحركة والمعاناة. أمّا حركية الثورة في الفعل، وشرعية التغيير في النهج؛ فقد نحتاج فيها إلى رصد ظروف الواقع العملي من حيث القدرة والإمكانات والنتائج، لنخطط من موقع الدراسة الدقيقة الحيّة ولنعرف كيف نواجه التحدّي في الفعل وردّ الفعل، وكيف تنتصر القضية فينا، أو تهيء الظروف لتقريب موعد النصر، أو لتحريك خطواته في اتجاه المستقبل.

ليس من الضروري أن يكون الأسلوب الحسيني في الشكل المأساوي الاستشهادي هو أسلوبنا. لأنَّ من الممكن أن يكون لهذا الأسلوب ظرفه الخاص الذي فرضته حركة الأحداث في تلك المرحلة، مما قد لا تتوفر فيه خصائص الظروف التي تعيشها مرحلتنا الحاضرة. ولكن لا بُدَّ أن تكون الروحية الحسينية هي التي تمثّل معنى روحيتنا، فقد واجه الإمام الحسين الموقف على أساس الاستمرار فيه وعدم التراجع عن جميع الاحتمالات. وهذا ما عبّر عنه بقوله: **"فمن قبلني بقبول الحقّ فاللّه أولى بالحقّ ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي اللّه بيني وبين القوم بالحقّ"**[1].

فإنَّ من المعروف أنَّ الصبر هنا ليس صبر المنهزمين؛ بل هو صبر الواثبين المتطلّعين، الذين يرصدون المستقبل في الأفق الواقع، ليجدوا فيه إشراقة النور الذي يشق الظلمات.

إنَّ المسألة هي أن يبقى الهدف حيّاً في أفكارنا، وفي تطلّعاتنا، وفي خططنا الثورية، وفي خطواتنا العملية... لنجعل الحياة كلّها، في ما نملكه من الطاقات، حركةً نحو الهدف الكبير، لتكون الوسائل العملية المتنوّعة خاضعةً للظروف الموضوعية التي تحكم واقع الحياة والإنسان في نطاق المراحل القريبة والبعيدة.

إيحاءات عاشوراء في خطّ الدعوة إلى اللّه:

هذه بعض إيحاءات عاشوراء في خطّ الثورة؛ فما هي إيحاءاتها في خطّ الدعوة إلى اللّه في نطاق الإسلام؟

إنَّنا نفهم أنَّ كلّ حركةٍ للثورة هي حركة في اتجاه الدعوة. لأنَّ الثورة تعمل على سدّ الثغرات التي ينفذ منها الكفر والضلال في واقع المؤمنين، وإغلاق النوافذ التي تتحرّك من خلالها رياح الانحراف في أجواء المسلمين، كما تعمل على إثارة اليقظة في العقول النائمة،

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:330، رواية:2.

وتحريك الوعي في الأحاسيس الجامدة، وفتح القلوب على المفاهيم الخيّرة في الأجواء الشريرة... وبذلك يجد النّاس فيها حياةً جديدةً للإسلام، تجدّد له شبابه، وتُعيد إليه حيويته، وتُسرع به إلى الهدف الكبير. فهي تختصر المراحل البعيدة، لتجمعها في حركة فاعلة في اتجاه النتائج الحاسمة في الحياة.

لذلك كانت إيحاءات عاشوراء تنطلق في اتجاه الدعوة، من خلال انطلاقها في عنوان الإصلاح في أمّة رسول اللّه الذي يحمل في داخله إصلاح الخطّ الفكري والعملي، لنفتح النّاس على الإسلام كلّه حتى لا يثقلهم الانحراف الواقعي فيبعدهم عن الاستقامة الفكرية.

إنّنا نحتاج إلى عدم الاستغراق في المعنى السياسي في الثورة، الذي قد يبعدنا ـ في النظرة الساذجة ـ عن الدعوة؛ بل لا بُدَّ لنا من أن نعيش التكامل في خطواتنا، ليكون العنوان الفكري حركة في العنوان الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعسكري.. من أجل أن يكون الدّين كلّه للّه، فلا يكون فيه نافذة تطلّ على غير اللّه. هذا هو بعض الحديث عن معنى كربلاء في حركة الإسلام في الدعوة والثورة معاً.

عـاشـو ر اء
فــي قــلــب الــحــركــة الــســيــاســيــة

هل إنَّ عاشوراء في مدلولها الثوري والروحي تمثّل حالة دينية بالمعنى التقليدي للحالة الدينية؟ أو أنَّها تمثّل حالة إسلامية سياسية؟ وبعد هذا التساؤل: ما علاقة الإسلام بالسياسة؟ وهل يمكنك أن تكون مسلماً دون أن تكون لك علاقة بالسياسة، أو أن يكون لك خطّ سياسي تستوحيه من الإسلام؟

عاشوراء حالة دينية تقليدية:

في الجواب عن السؤال الأول هناك من يتصوّر أنَّ عاشوراء تمثّل حالة دينية تقليدية، يجتمع إليها النّاس، ويتذكّرون جانب المأساة بعيداً عن جانب الحركة، ويفتشون عن عناصر الألم بدلاً من التفتيش عن عناصر الانطلاق. ومن هنا يفكّر هؤلاء النّاس بأنَّ قصة الحسين (ع) في الذكرى، هي قصة الدمعة التي نستنزفها من عيوننا لتعبّر عن حزننا وألمنا. ولهذا يهتم النّاس بالدموع ويتحرّكون على أساس أن لا تكون الدموع حالة عميقة في النفس، بل تكون حالة إيمانية يستنزفها الإنسان ليحصل على الثواب.

وربَّما فكّر بعض النّاس أنَّه يكفيه ليحصل على غفران اللّه من كلّ ذنوبه أن يبكي قليلاً في مآتم الإمام الحسين (ع)، أو أن يلطم صدره، أو أن يجرح رأسه، أو صدره... فيكون قد وفى الحسين حقّه. ويقول هؤلاء النّاس: إنَّ الذين يتحدّثون عن قصة الحسين (ع)، من الموقع السياسي، يسيئون إلى قداسة القصة، وإلى قداسة الحسين (ع). لأنَّ القضية قضية دينية، والقضايا الدينية يجب أن لا ترتبط بالقضايا السياسية.

وهناك جمهور كبير من النّاس يحاولون الاقتراب من الحسين (ع) من موقع مأساته لا من موقع ثورته. ونلتقي في هذا النموذج من النّاس بالكثيرين من الملوك الذين يتشيّعون لأهل البيت (ع) رسمياً، كما كان حال شاه إيران (محمَّد رضا بهلوي)، الذي كان يقيم العزاء على الحسين (ع) ويتحرّك في ما هو أخطر من خطّ يزيد. لأنَّه كان يتحرّك ليعيد إيران إلى التاريخ الكسروي الذي يعتبر الإسلام حالة عدوانية في تاريخ الشعب الإيراني، على اعتبار أنَّها حالة جاءت من الغزاة الذين غزوا إيران فبدّلوا حضارتها وسياستها. وهناك نماذج من السياسيين الذين يلتزمون الخطّ الاستعماري في سياستهم، وينفتحون على "إسرائيل" وعلى غير "إسرائيل" من أعداء أمتنا، ويركّزون قواعد الحكم الظالم... وهم يقيمون مجالس عاشوراء بطريقة احتفالية مأساوية، ويشترطون على قارئ التعزية أن لا يبتعد عن المصيبة. وهكذا نجد

نماذج كثيرة من النّاس، سواء كانوا من الشخصيات الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية الموجودة في المجتمع، تُنكر على القارئ أن يتحدّث عن الثورة بطريقة تواجه السياسة القائمة، أو تواجه الأوضاع السياسية الدولية أو الإقليمية التي تنعكس سلباً على واقع النّاس. لأنَّ عاشوراء مناسبة دينية ـ حسب رأيهم ـ فعلينا أن لا نُسيء إليها بالسياسة. وينزعجون إذا وقف إنسان ليتحدّث عن عاشوراء ـ الثورة، وعن عاشوراء ـ الخطّ، وعن عاشوراء ـ الهدف، وعن عاشوراء التي تتحدّى كلّ جيل لتقول له أمام كربلاء: أين أنت؟ أين موقعك؟ وهل أنَّ موقعك مع الحسين في أفكاره وفي طروحاته، وفي شعاراته؛ أو أنَّك مع يزيد في أفكاره وفي أطماعه، وفي خطوطه العملية؟

عاشوراء حركة سياسية:

وهناك نموذج يرى أنَّ عاشوراء، في مجملها، حركة سياسية. فما الذي يميّز الحركة السياسية عن النشاط العادي، أو كيف تُصنَّف الحركة بأنَّها حركة سياسية؟ إنَّ الحكم على حركةٍ ما بأنَّها حركة سياسية يتحدد بقدر ما تنطلق هذه الحركة لتضع في واجهتها مسألة تغيير الحكم والواقع، ولتتحرّك على أساس أن يكون الخطّ العام للمجتمع هو خطّ العدل، بحيث يتحرّك المجتمع ليسقط خطّ الظلم. لو دُرِست كلّ الحركات السياسية في العالم، فإنَّ ما يمكن استنتاجه هو أنَّ الحركة السياسية هي الحركة التي تنطلق على أساس تغيير الواقع من موقع الحاكم والحكم والقانون والمنهج.

وعلى هذا الأساس، فإنَّ الحسين (ع) كان يتحرّك سياسياً ويرفض مبايعة يزيد، لأنَّ يزيد لم يكن بمستوى الحاكم الإسلامي الذي يتمتع بمواصفات الحاكم العادل، فكأنَّ الإمام الحسين يريد أن يقول للنّاس: إنَّ عليكم أن ترفضوا أيّ حاكم لا يتمتع بهذه المواصفات، لأنَّ الحاكم المسلم لا بُدَّ أن يشتمل على مواصفات الالتزام الكامل بأحكام الشرع الإسلامي. فحاكم المسلمين هو الذي يجسّد الشريعة، لأنَّه الأمين على تطبيقها. وهو الذي يجسّد الإسلام، لأنَّه الأمين على تطبيقه. ولذلك فإنَّ الحسين (ع) كان يطرح مسألة الحاكم، وكأنَّه يريد أن يقول للمسلمين في زمانه وللمسلمين بعد زمانه: حدّقوا في الحاكم.. كيف هو وكيف سلوكه؟ وما غاياته وأهدافه؟ انظروا إلى الحاكم، لأنَّ الحاكم هو الرمز لانطلاقة الأمّة في خطّ الصعود.

ثُمَّ طرح الإمام الحسين (ع) الشعارات التي طرحها في مواجهته للحكم الأموي في شخص يزيد.

إنَّهم عطّلوا حدود اللّه، عطّلوا القانون الإسلامي.

أحلّوا حرام اللّه وحرّموا حلاله، ولزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن. وانحرفوا عن الخطّ. هذه هي الشعارات التي طرحها الإمام الحسين (ع). فهل تُعد شعارات سياسية أم لا؟

من شعارات كربلاء:

إنَّ من بين شعارات كربلاء التي رفعها الإمام الحسين (ع):

"ألا وإنَّ الدعي ابن الدعي قد تركني بين اثنتين بين السلّة والذلة. وهيهات له ذلك. هيهات مني الذلة أبى اللّه ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طهرت وحجور طابت، أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام"[1].

"لا واللّه لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد"[2].

عندما تواجه الحكم الذي يريد أن يفرض عليك أن تُعطي بيدك إعطاء الذليل وتقرّ إقرار العبيد. فإنَّك تطلق هذا كشعار سياسي، وإلاَّ ما هي السياسة إذا كانت غير ذلك؟!

إنَّ قيمة حركة الإمام الحسين (ع) في عاشوراء أنَّها تتحرّك في كلّ مواقعها، في ما تستقبل من التاريخ، من أجل أن تحرّك الموقف السياسي للحكم الجائر، وللحاكم الجائر، وللانحراف عن الخطّ في كلّ زمان ومكان... وعندما نقول عن عاشوراء إنَّها حركة سياسية، فإنَّنا لا نريد أن نرفع عنها الصفة الدينية؛ بل نريد أن نؤكّد هذه الصفة؛ فمن قال لكم: إنَّ الصفة الدينية لأيّة حركة تعني حيادها عن الجانب السياسي؟!

ديننا سياسة، وسياستنا دين:

إنَّ الدّين الذي يجعل الإنسان يتحمّل المسؤولية أمام اللّه، هو الدّين الذي يدفع بك لتعيش الحياة بكامل أبعادها، ولتتحمّل مسؤولية الحياة على أساس التجربة. الدِّين حركة سياسية في كلّ واقع تريد الأمّة أن تنطلق من خلاله لترتفع إلى أعلى الدرجات. وكما قال بعض العلماء: "ديننا سياسة وسياستنا دين"[3] لا فصل لدينا بين الدِّين والسياسة. إنَّك عندما تمارس السياسة، فأنت تمارسها من موقع مسؤوليتك أمام اللّه في إقامة العدل وفي إسقاط الظلم. وعندما تنطلق في دينك. فإنَّك تنطلق فيه لتنفّذ ما أراده اللّه منك.

لنقرأ هذه الآية من سورة الحديد: **{لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النّاسُ بالقسط}** [الحديد:25] والقسط هنا كناية عن العدل. فاللّه

[1] البحار، ج:54، باب:37، ص:83، رواية:10.

[2] البحار، ج:45، باب:37، ص:7.

[3] يُنسب هذا القول للمرحوم الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (رضوان اللّه عليه).

سبحانه وتعالى يقول: لقد أرسلنا كلّ الأنبياء من آدم (ع) إلى محمَّد (ص) وأرسلناهم بالبيِّنات التي تؤكّد نبوة كلّ نبيّ وأنزلنا معهم الكتاب: صحف إبراهيم وموسى وعيسى ومحمَّد. وأنزلنا معهم الكتاب والميزان الذي يميّز بين الحقّ والباطل، أي يفصل بين الحقّ والباطل ويزن الأمور بموازين دقيقة.

لماذا أرسلنا الرسل؟

من أجل إقامة العدل في الحياة، فما يلخّص رسالات الأنبياء كلّها هو إقامة العدل. كلّ دين جاء لإقامة العدل في الكون ﴿**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ [الحديد : 25] ، يعني العدل. وهنا نطرح سؤالاً آخر: عندما نريد أن نفرض العدل في المجتمع، هل يمكن أن نفرض العدل ونطبّقه بدون عمل سياسي؟ هل يمكن أن نحقّق برنامج العدل في مواقع الحياة الفردية والاجتماعية كلّها، بدون أن نتحرّك سياسياً لنطالب بالعدل، ولنثور على الذي يأباه، ولنخطّط له في كلّ مجالات الحياة؟ هل يمكن أن نحصل على عدل بدون سياسة؟ قد يكون الحاكم عادلاً أو جائراً، فإذا أراد اللّه للنّاس أن يقوموا بالقسط، فهل يمكن أن يقوم النّاس بالقسط إذا كان الحاكم ظالماً؟ وهل يمكن أن يقوم النّاس بالقسط إذا كان القانون ظالماً؟ وهل يمكن أن يقوم النّاس بالقسط إذا خضع النّاس للظالمين من القوى الكبرى؟

إذاً لنحقّق إرادة اللّه في الرسالات. وحتى يقوم النّاس بالقسط، فلا بُدَّ أن يكون لنا موقف سياسي، وحركة سياسية نتّقي فيها اللّه، ونتحرّك فيها على أساس حدود اللّه لنحقّق ما أراده اللّه. وعند ذلك، تتحرّك السياسة في خطّ الدِّين من خلال خطّ التقوى، ويتحرّك الدِّين في خطّ السياسة من خلال خطّ المسؤولية.

وعلى هذا الأساس، لا بُدَّ أن نعي المسألة السياسية في المسألة الكربلائية الحسينية، ونعتبر الإمام الحسين (ع) . بالإضافة إلى كونه سيّد شباب أهل الجنّة وريحانة رسول اللّه . إماماً وقائداً إسلامياً انطلق من أجل تأكيد القيادة في الواقع الإسلامي على خطّ العدل وعلى خطّ الإسلام، وقال للنّاس كلّهم: أرى دمي رخيصاً أمام قضية العدل وقضية الإسلام.

كربلاء .. نهج وشرعية:

إنَّ حركة الحسين هي نهجٌ لحركتنا وشرعية للحركة الإسلامية. في الحديث الشريف: "من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم"[1] ما معنى: " لا يهتم "؟

1 الكافي ، الجزء 2 ، ص163 حديث1

هناك اهتمام قلبي بأن تعيش الهمَّ في قلبك، واهتمام عقلي بأن تفكّر في عقلك كيف يمكن لك أن تنقذ المسلمين من أمورهم المعقّدة والصعبة، واهتمام حركي عملي وهو أن نفكّر كيف يمكن لك أن تتحرّك حتى تنقذ قضايا المسلمين وأمورهم؟

هذا في الجانب السلبي، وفي الجانب الإيجابي نقرأ الحديث المعروف عن رسول اللّه (ص): "**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى**"[1] هذه نظرية إسلامية تريد أن توصل الحالة الشعورية في الواقع الإسلامي إلى أن يختزن كلّ مسلم في داخله مفهوم الأمّة . الجسد الواحد . وأن يعتبر واقع الأمّة من الناحية الشعورية كواقع الجسد. فكما أنَّ أعضاء الجسد لا يمكن أن تنام إذا ما كان أحد الأعضاء متألماً، فلا بُدَّ أن نتألم كذلك إذا ما تألم أيّ شعب في أيّ منطقة إسلامية من العالم.

عندما نؤكّد أنَّ عاشوراء حركة سياسية إسلامية، فإنَّنا نؤكّد معناها الديني في ما هو المعنى المنفتح على الحياة كلّها؛ ونؤكّد على أنَّ الحسين (ع) في الوقت الذي يمثّل الإمامة بمعناها الديني الروحي العبادي، فهو ينفتح من موقع إمامته على كلّ المعاني السياسية في الواقع. والإمامة هي حركة في معنى الحكم وفي معنى القيادة.

الإمامة ليست حالة منغلقة بعيدة عن التحدّي وعن الضوضاء، ولولا ذلك لما واجه أهل البيت (ع) التحدّيات والنكبات العظام.

إنَّ حكاية أنَّ الدِّين يبتعد عن السياسة، جعلت السياسة في يد الذين يواجهون الإسلام وجهاً لوجه بفكر الإلحاد، وجعلت السياسة في يد الخائنين والفاسقين والظالمين. لقد آن الأوان لتكون السياسة في يد العادلين المتّقين الواعين، حتى نستطيع أن نغيّر الواقع على كلمة اللّه.

إنَّ كربلاء ليست منطقة في العراق، ولكنَّها ساحة من ساحات الجهاد، والحسين ليس شخصاً في التاريخ، ولكنَّه كلّ قائد ينطلق من أجل أن تكون كلمة اللّه هي العليا وكلمة الشيطان هي السفلى.

---

[1] البحار، ج:58، باب:43، ص:150، رواية:29.

في موسم عاشوراء، وفي غيره من المواسم، نحتاج إلى أن نتفهم حركة الإمام الحسين (ع) فهماً واعياً منفتحاً على القضايا الأساسية كلّها التي تُماثل القضايا التي انطلق منها الإمام الحسين. لأنَّ المسائل التي كان يفكّر بها الحسين (ع) لم تكن من المسائل الفريدة في الحياة، بل كانت نموذجاً لقضايا تسير مع الزمن كلّه وتوجد في كلّ مكان. لذلك لا نريد أن نتطلّع إلى كربلاء لندرس كيف كان موقف الإمام الحسين (ع)، ثُمَّ لا يكون لنا أيّ موقف مماثل من القضايا التي تكون في نفس الدرجة من الأهمية لما ثار الإمام الحسين من أجلها.

الحسين ومبايعة يزيد:

لقد دُعي الإمام الحسين (سلام اللّه عليه) في المدينة إلى أن يبايع يزيد على خلاف قناعته، لأنَّه كان لا يجد فيه الأهلية للخلافة، وكان يجد نفسه هو المؤهّل الشرعي لأن يكون خليفة المسلمين. وأرادوا أن يفرضوا عليه الموقف ليبايع من خلال القوّة التي يهدّدونه بها. ولم يشأ الإمام الحسين (سلام اللّه عليه) أن يدخل أيّة معركة في المدينة أو مكّة، فخرج من مكة قاصداً العراق، بعد أن أرسل إليه أهل العراق رسائلهم الكثيرة. وانطلق إلى كربلاء، وطُرِحَ عليه أن يخضع ليزيد، وأن يضع يده في يده، وأن ينزل على حكمه ليتصرّف كما يشاء. ولم تقتصر المسألة في عقدة تولي ابن زياد الكوفة من قبل يزيد، بل طلب منه هذا الأخير أن ينزل على حكمه بالإضافة إلى نزوله على حكم يزيد بن معاوية، وهكذا أريد للإمام الحسين (سلام اللّه عليه) أن يقول لابن زياد: أحكم عليّ بما تريد.

إنَّ الإمام الحسين (ع) لا يمكن أن يقبل ذلك، كأيّ إنسان حرّ الذات يأبى أن يخضع للآخرين. والمسألة إلى جانب ذلك أنَّه (سلام اللّه عليه) لا يريد الخضوع للانحراف، ولا للظلم ولا للطغيان. وعلى هذا الأساس، كانت المسألة بالنسبة إليه مسألة الموقف العزيز للحقّ والعدل، في مواجهة الموقف الذليل لحساب الباطل والظلم. ولهذا علّل الإمام الحسين (سلام اللّه عليه) رفضه لذلك في قوله: "**يأبى اللّه لنا ذلك ورسوله والمؤمنون**"[1] كأنَّه يريد أن يقول: إنَّ الإنسان عندما يتصرّف أيّ تصرّف في الحياة، فلا بُدَّ له من أن يحصل على الشرعية في التصرّف. فإذا أردت أن تخضع لأيّ شخص، فلا بُدَّ لك أن تعرف هل أنَّ خضوعك هذا شرعي يقبله اللّه ويقبله رسول اللّه في شريعته، أو أنَّ خضوعك ليس شرعياً؟ فلا بُدَّ للمسلم من أن يجعل كلّ مواقفه في خطّ إسلامه، فلا تتحرّك إلاَّ بما يريد اللّه له أن

[1] ابن شعبة الحراني: تحف العقول عن آل الرسول، ص:241، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ إيران، 1404هـ.

يتحرّك فيه، ولا تقف إلاَّ حيث يريد اللّه له أن تقف فيه، لقد رفض الإمام الحسين (ع) الخضوع ليزيد الذي يمثّل سلطة الانحراف عن خطّ اللّه ورسوله، ويمثّل السلطة الظالمة وكان يزيد يحاول أن يظهر بمظهر المسلم فهو يصلّي الجمعة والجماعة بالمسلمين، ويصوم شهر رمضان؛ ولكنَّه يمثّل الإنسان المنحرف في فكره، وفي سلوكه، وفي عمله في جانب الحكم العام للأمّة، وفي جانب الانحرافات الشخصية في لذاته وشهواته. لقد تمرّد الإمام الحسين (ع) على يزيد، ورفض أن يخضع له وصمّم أن يواجهه بكلّ قوّة حتى الاستشهاد وهو المحاصر من جميع الجهات. ورغم أنَّه عاش حالة العطش ومشكلة الأجواء المأساوية التي تحيط به من خلال النساء والأطفال، فإنَّه لم يخضع لأنَّه أراد أن يبقى عزيزاً كما أراد اللّه له أن يبقى.

بين كربلاء والواقع الإسلامي المعاصر:

لننفصل عن كربلاء ولنأتِ للواقع الإسلامي كلّه. ففي الواقع الإسلامي في كلّ بلد إسلامي هناك أكثر من حكم يماثل حكم يزيد، ويفوقه طغياناً وانحرافاً وكفراً. فالمسلمون يخضعون في غالبية بلدانهم لحكم لا يطرح الإسلام حتى بالمستوى الذي كان يطرحه يزيد، وإنَّما يطرح غير الإسلام من خلال العناوين الجديدة للحكم التي جاءت بها الفلسفات الأوروبية، والتي تعمل على أن لا تجعل للدِّين أيّة علاقة بحياة النّاس وواقعهم. حتى أنَّ الإنسان لا يُسمح له أن يتحدّث عن الإسلام. وإذا تحدّث عن الشريعة الإسلامية وتطبيقها، قالوا: هذا "أُصولي" متطرّف، وقالوا: هذا رجعي متزمّت، وهذا سلفي يريد أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء.

بعض النّاس لا يكلّفهم الحسين (ع) شيئاً، لأنَّهم يكتفون من الحسين أن يبكوا عليه، ولكنَّه يقتلون في كلّ يوم ألف حسين في العالم الإسلامي من خلال خضوعهم للكفر والكافرين.

هل أنَّ الخضوع ليزيد بن معاوية أكثر ذلاً، أو أنَّ الخضوع للذي يحكم باسم الكفر حيث يتحرّك الاستكبار العالمي، ليسحق كلّ مقدراتنا السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية يمثّل الذلّ الأكبر؟

إذا كان الحسين (ع) يقول: يأبى اللّه لنا أن نصافح يزيد وابن زياد، فهل يرضى اللّه لنا أن نقبّل اليد الأميركية، أو نقبّل اليد التي تعمل على أساس أن تقبّل اليد الأميركية؟

إنَّ من يرفض خضوع الحسين (ع) ليزيد وابن زياد، لا بُدَّ أن يرفض خضوع أبناء الحسين وأتباعه وجُنده لأمريكا ولعملاء أمريكا. وربَّما لا نجد في الواقع الإسلامي مناسبة أخذت

تأثيرها وحجمها في العقل وفي القلب وفي التقاليد وفي حركة الواقع وفي الشعارات... التي تتّسع في مسيرة الواقع منذ الماضي وحتى الحاضر وانطلاقاً بالمستقبل كما هي قضية الإمام الحسين (ع).

الإسلام وحركة المسؤولية:

إنَّ هناك روحاً إسلامية يشعر بها كلّ من سمع بالحسين (ع) وعاش حركته وتعمّق بثورته، بحيث يجد حركية الإسلام في تلك الحركة، وفاعليته ومسؤوليته وإمكانية أن يبقى ليمدّ كلّ جيل إسلامي بالجديد مما يمكن أن يحقّق له الأهداف الكبيرة في الحياة. فالإسلام ليس مجرّد فكر نختزنه في عقولنا، وليست مجرّد كلمات نردّدها على ألسنتنا؛ ولكنَّه يمثّل بالإضافة إلى ذلك حركة في مسؤولية الحياة. والذي يعيش مسؤوليته هو الذي ينسى ذاته ويفكّر أنَّ علاقاته بالنّاس وبالأحداث، بل وحتى علاقاته بأهله الأقربين، تتحرّك سلباً أو إيجاباً في خطّ المسؤولية. وهذا ما عشناه في ما حدّثنا اللّه سبحانه وتعالى عن النبيّ نوح (عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام) عندما قال: ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [هود:45-46].

إنَّ من كان قريباً لرسالتك فهو أقرب النّاس إليك، وأبعد النّاس عنك هو من كان بعيداً عن رسالتك. وهذا المعنى يجسّده الشاعر أبو فراس الحمداني:

كانت مودةُ سلمان لهم رَحِماً ولـم يكن بين نوحٍ وابنه رحمُ

هكذا يعيش الإنسان المسؤول مسؤوليته بحيث تتدخل في عمق علاقاته، وفي كلّ مواقع الحركة في الحياة؛ بحيث يتقدّم عندما يجد أنَّ مصلحة مسؤوليته الرساليّة في أن يتقدّم حتى لو كانت الأخطار تواجهه، ويتأخّر عندما يرى أنَّ المصلحة هي في أن يتأخّر حتى لو رماه النّاس بالضعف والجبن.

المسؤولية في حركة الحسن والحسين (ع):

هناك من يتحدّث عن وجود فرق بين شخصية الإمام الحسين وبين شخصية الإمام الحسين (سلام اللّه عليهما)؛ فيعتبرون أنَّ الإمام الحسن (ع) كان شخصيةً مسالمة، فيما كان العنف هو الذي يطبع شخصية الإمام الحسين (ع).

لقد كانت المسألة تماماً كما هي مسألة رسول اللّه (ص) قبل الهجرة وبعدها، وكما كانت قضية الإمام عليّ (ع) قبل الخلافة وبعدها.

لماذا لم يأذن رسول اللّه (ص) للمسلمين الذين كانوا يستطيعون التحرّك بصفةٍ فردية في مكّة ليواجهوا الضغط الذي كان يفرضه عليهم عتاة قريش. ربَّما كان بعض المسلمين يعانون الضعف، لكنَّ آخرين كانوا يملكون القوّة، وربَّما كان بعضهم مرهوب الجانب لدى أهل مكة، ومع ذلك لم يأذن رسول اللّه (ص) لهم بالقتال، لأنَّ المرحلة تطلبت أن يفتح الإسلام طريق الدعوة إلى اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ في العقول والقلوب في ساحة مكة، حيث كان (ص) لا يريد إثارة خلاف ليُقال: إنَّ محمَّداً وقريشاً قد اختلفا، فتضيع الرسالة.

لقد كان (ص) يريد للرسالة ـ آنذاك ـ أن تكون الرسالة المضطهدة، حتى يتحرّك النّاس ليعيشوها من خلال طبيعة الاضطهاد الذي تعانيه، حتى إذا ما استطاعت أن تصل إلى آذان كلّ النّاس الذين يأتون إلى مكة لأسباب تجارية أو ثقافية أو دينية؛ انطلق النبيّ (ص) ليواجه قريش، وليُهدِّد مصالحها... فكانت واقعة (بدر) وكانت كلّ الحروب. لماذا؟ لأنَّ المرحلة الثانية كانت مرحلة صنع القوّة في المنطقة، باعتبار أنَّها لا تخضع إلاَّ للقوي. فالحقّ وحده لا يخضعها. لقد كانت المرحلة الأولى هي أن يسمع النّاس الكلمة. وكانت المرحلة الثانية أن تخضع المنطقة للقوّة التي تعمّق التزام النّاس بها.

وهكذا فليس هناك خطأ في أنَّ المسلمين لم يحاربوا في مكة أو في المدينة، ولكنَّها كانت مرحلة تهيئ لمرحلة أخرى. ويتحرّك في المرحلتين أسلوبان إسلاميان: أسلوب اللين حيث يكون اللين هو مصلحة الإنسان في الحياة ومصلحة الرسالة في الحياة، وأسلوب العنف عندما يكون العنف في مصلحة الإنسان في الحياة ومصلحة الرسالة في الحياة.

إنَّ العنف حالةٌ طبيعية يحتاجها الإنسان في بعض مواقعه، والرفق حالةً طبيعيةٌ كذلك يحتاجها الإنسان كذلك. فالكون يختزن الاثنين معاً. وفي الحياة الطبيعية نجد العواصف العاتية التي تدمّر الأشجار وتهدّد الديار؛ وبعد ذلك نجد النسيم العليل الذي ينعش الهواء والحياة. وفي ذلك كلّه تحتاج الحياة إلى العواصف، كما تحتاج إلى النسيم العليل. لأنَّ لكلّ فصل حاجاته في طبيعة ما يحيط به، فالمسألة ليست مسألة مزاج.

إنَّ الإمام الحسن كان عنيفاً في رسائله التي كان يرسلها إلى معاوية. وعندما اندفع (ع) في الحرب، اندفع بعمق وأراد من النّاس أن يتحرّكوا نحوها بجدية. لكنَّ الأمّة كانت قد تعبت منها ومن آثارها، في الوقت الذي كانت تعيش الفوضى في مشاعرها وأفكارها، حتى أنَّها خالفت رأيه ومنعته من أن يستكمل خطته، لأنَّها كانت تتحرّك في أجواء غير سليمة.

وهكذا انطلق الإمام الحسن (ع) بعسكر لا يملك أيّة فرصة للثبات أو للانتصار. قد يقول بعض النّاس: ليس من الضروري أن ينتصر الإمام الحسن، لماذا لم ينطلق في خطّ الاستشهاد كما انطلق الإمام الحسين (ع)؟

لو أنَّ الإمام الحسن (ع) انطلق بالحرب لما بَقيَ الإمامُ الحسين (ع)، ولما بقيت كلّ تلك المعارضة، ولأصبح الجوّ كلّه من خلال عنوان واحد وخطّ واحد.

إنَّ صلح الإمام الحسن (ع) لم يكن حالة ضعف أو حالة هروب من الشهادة. لقد كانت القضية أن يفسح الإمام الحسن (ع) بهذا الصلح المجال للنّاس ليدرسوا الأمور على الطبيعة لتتحرّك المعارضة من خلال أنَّ هناك واقعاً ينميها، وينمي قواعدها مع إمكانية أن يسمح المستقبل بالحركة وهكذا كان إذا لم تمضِ سنون على ذلك إلاَّ وكانت هناك قاعدة تنقد، وتعترض، وتشير... وكانت انطلاقة الإمام الحسين (ع) هي الصدمة التي أراد (ع) من خلالها أن يصدم الواقع حتى يهزّه هزة عنيفة من الأعماق، من أجل أن تؤثر تلك الصدمة في المستقبل عندما ينفتح النّاس على قضية الحسين (ع) ليفكروا:

كيف انطلقت؟ وكيف عاشت؟ وكيف تحرّكت؟

لهذا: فإنَّ أسلوب الإمام الحسن (ع) كان أسلوب المرحلة في حركة الإسلام وأسلوب الإمام الحسين (ع) كان أسلوب المرحلة أيضاً.

إذ ما قيمة أن يقف المرء ضدّ التيار دون الاستعداد الكافي لذلك؟

الجهاد ودفع العدوان:

إنَّ هناك من يفكّر بأنَّ قصة الجهاد انتهت باستشهاد الحسين (ع)، وعلينا أن ننتظر إلى أن يأتي صاحب العصر والزمان المهدي المنتظر (عج) ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. المسألة ليست كذلك. المسألة أنَّ لك الحقّ في أن تدفع العدوان عن نفسك، وإذا دفعت العدوان عن نفسك فلست معتدياً ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة:194].

إنَّ هناك خطّة تريد أن تحيّد المسلمين والمستضعفين من غير المسلمين عن المعركة ضدّ الاستعمار وضدّ الصهيونية بداعي أنَّ السلام هو الذي يخدم النّاس.

نحن مع السلام، ولكن السلام الذي لا يأكل حريتنا، ولا يضطهد عدالتنا، ولا يخنق إنسانيتنا.

بين الحبّ والموالاة:

بعد مرور قرون طويلة على ثورة الإمام الحسين (ع)؟ ماذا يعني إثارة تلك القضية؟ إنَّه يعني أنَّنا لا نزال (نلتزمه)، في حين نجد بعض النّاس يقولون: لا نزال (نحبّه). ولكنّي لا أريد أن أتوقف عند هذه الكلمة، فعلينا أن نضيف إلى كلمة (الحبّ) كلمة الموالاة، وهناك فرقٌ

بين أن تحبّ أهل البيت، وأن تواليهم؛ أو أن تتعصّب لأهل البيت، وأن تلتزمهم. فالحبّ يمثّل حالةً عاطفيةً، فيما يفرض عليك ولاء أهل البيت أن يكون اللّه وليّك. من هم أولياء اللّه؟ إنَّهم ليسوا أولياءنا بأشخاصهم، ولكنَّهم أولياؤنا برسالتهم، وبحبّهم للّه (سبحانه وتعالى). ولذلك كانت ولايتنا لهم حركة في خطّ ولايتنا لرسول اللّه (ص)، وفي خطّ ولايتنا للّه (سبحانه وتعالى)؛ ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة:55]. ومعنى أن تكون ولياً للّه، أن تكون مخلصاً للّه بقدر ما كان أهل البيت (ع) مخلصين له، وتتحرّك في خطّ اللّه بقدر ما كان أهل البيت (ع) متحرّكين في خطّه.

إنَّ الحبّ وحده لا يكفي فيما الولاية تعني الالتزام بالموقف، والموقف فكرٌ تلتزمه وعاطفةٌ تعيشها وخطواتٌ تتحرّك فيها... أجل: فما معنى أن تحبّ أهل البيت (ع)، وأنت تلتزم خطّاً غير خطّهم، ونهجاً غير نهجهم، وفكراً غير فكرهم، وهدفاً غير هدفهم.

لقد وقف أكثر المسلمين يومئذٍ . بين المبادئ وبين العاطفة، وبين الفكرة غير المستقرة وبين المال والجاه. وفضلوا المال والجاه على الفكرة، وعلى العاطفة. هذه تجربة عاشها النّاس بالماضي. وإذا أردنا إثارة مسألة الإمام الحسين (ع)، فلا نستغرب كيف قُتل الإمام الحسين (ع)؟ وكيف قُتل أخوه العباس (ع)، وكيف قُتل ولده عليّ الأكبر؟! هذه مسألة يمكن لنا أن نعيشها، لكن لنحدّق بأنفسنا من خلال كربلاء، فلو كنّا في ساحة كربلاء، فهل تكون شخصيتنا شخصية عمر بن سعد أو شخصية الحر بن يزيد الرياحي؟

إنَّ استيعاب الإجابة عن تلك التساؤلات إنَّما تكون من خلال الموقف.. مع من؟ وفي أيّ خطّ؟ لو جاء الحسين (ع) وليس معه إلاَّ القلة، وجاء عمر بن سعد ومعه الرجال والسلاح والمال، ودارت أنظارهم بين الحسين (ع) وبين خصومه؛ فهل يمكن القطع بالوقوف إلى جانب الإمام الحسين؟

إنَّ التزام قضية الإمام الحسين (ع) تحمّلنا مسؤولية أن نقف حيث وقف، وأن نتحرّك حيث تحرّك. إنَّه كان يتحرّك من أجل طلب الإصلاح في أمّة جدّه، فهل نتحرّك في خطّ الإصلاح في أمّة جده؟ الحسين (ع) كان يتحرّك في خطّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلنتحرّك في هذا الخطّ. الحسين كان ينفتح على اللّه بكلّ حياته، ويضحّي في سبيل اللّه بكلّ حياته، فهل نحن كذلك؟

يجب أن لا نعتبر العظماء الذين نقدّسهم ونتقرّب إلى اللّه بهم أشخاصاً انتهوا إلى صفحات التاريخ؛ بل يجب أن يستمروا إشراقات في كلّ طرقنا المظلمة؛ ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ [الأحزاب:33] وأهل البيت

يحتاجون إلى أتباع أطهار يعيشون طهر أهل البيت الفكري في طهرهم الفكري، وطهر أهل البيت العاطفي في طهرهم العاطفي، ويعيشون طهر أهل البيت الحركي في طهرهم الحركي... إنَّه الطريق الذي يتّبع الحقّ، وينتهي بالجنّة.

بالمعرفة والإرادة نصنع التاريخ:

ولكن كيف نوظّف عاطفتنا نحو كربلاء باتجاه قضايانا المعاصرة؟

إنَّ عاشوراء التي تستنزف دموعنا، لا بُدَّ أن نحرّكها من أجل أن تحرّك عقولنا، لأنَّ الإنسان عندما يستغرق في العاطفة، ويجعل حياته كلّها حركة عاطفية؛ فإنَّ العاطفة قد تقوده إلى الهلاك والخسران.

وحين نريد أن ننطلق في حياتنا كما أراد اللّه لنا أن ننطلق، فلا بُدَّ أن نتوازن في عاطفتنا؛ فنعطي العقل جرعةً من العاطفة حتى لا يبقى العقلُ جامداً، ونعطي العاطفة جرعةً من العقل حتى لا تكون العاطفة مائعة. لهذا فعندما نستقبل قضية الإمام الحسين (ع)، فإنَّ عنصر المأساة يجتذبنا، لأنَّ كلّ إنسان يتأثّر بعناصر المأساة عندما يواجهها أو عندما تُذكر أمامه؛ ولهذا فمن الطبيعي لنا ـ ونحن نحبّ أهل البيت (ع) ـ أن تتحرّك عواطفنا وتسيل دموعنا عندما نتذكّر مآسيهم، ولكن المأساة كانت شيئاً في التاريخ، لقد مضى على كربلاء ثلاثة عشر قرناً ونصف، ويزيد على ذلك... معنى ذلك أنَّ المأساة في عناصرها الإنسانية قد انتهت، لقد تألموا وانتهت آلامهم وأصبحوا ﴿**أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران:169].

لقد انتهى ذلك التاريخ بأشخاصه، فماذا بقي لنا؟

إنَّنا مسؤولون أن نكسب ما يريدنا اللّه أن نكسبه في حركتنا في الحياة. فلدينا عقلٌ ولا بُدَّ للعقل أن يكتسب المعرفة ويتحمّل مسؤولية المعرفة، ولنا إرادةٌ ولا بُدَّ لهذه الإرادة أن تتجلى في الحياة، ولنا طاقات ولا بُدَّ لهذه الطاقات أن تعبّر عن نفسها في كلّ المواقف التي تتطلب ذلك. إذاً فاللّه يسألنا: كيف يمكن أن نكسب رضاه، وكيف يمكن أن نكسب القضايا الكبيرة التي يحبّها؟ ولذلك لا بُدَّ أن نحرّك عقولنا حتى لا نكون من الذين يملكون عقولاً لا يعقلون بها، وأن نحرّك أسماعنا وأبصارنا حتى لا نكون من الذين يملكون أعيناً لا يُبصرون بها وآذاناً لا يسمعون بها.

إنَّ اللّه يريد من الإنسان اكتساب المعرفة والثقافة.

إنَّ مجتمع عاشوراء، سواء كان مجتمع الخير المتمثّل بالإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه، أو مجتمع الشر المتمثّل بيزيد وبأصحابه. إنَّه مجتمع قد انتهى، إذ كانت لهم

حياتهم التي عاشوها، ولهم مواقفهم التي وقفوها. أمّا نحن فلنا حياتنا ونحن مسؤولون عنها لا عن حياة أهل البيت في التاريخ، وعن حياة الآخرين من بني أميّة.

إنَّنا مسؤولون أن نصنع تاريخاً، وأن نُبدِع حياةً، وأن نحرّك طاقةً، وأن نجسّد موقفاً في الحياة... تلك هي مسؤوليتنا.

وإذا كانت لهم حياتهم التي عاشوها في التاريخ، ولنا حياتنا التي نعيشها الآن؛ فما علاقة كربلاء بنا؟ وما علاقتنا بكربلاء؟

الحسين (ع) وارث الأنبياء:

إنَّ العلاقة بعاشوراء تنطلق من خلال شخصية الإمام الحسين (ع)، فالحسين بالنسبة إلينا ليس مجرّد كونه ابن بنت رسول اللّه (ص)، حتى نرتبط به على أساس القرابة، ولكنَّ الحسين (ع) هو الإمام المفترض الطاعة الوارث للأنبياء. ألا نقرأ في زيارته: "السلام عليك يا وارث آدم صفوة اللّه، السلام عليك يا وارث نوح نبيّ اللّه، السلام عليك يا وارث إبراهيم صفوة اللّه، السلام عليك يا وارث موسى كليم اللّه، السلام عليك يا وارث عيسى روح اللّه، السلام عليك يا وارث محمَّد حبيب اللّه، السلام عليك يا وارث عليّ وليّ اللّه".

إذاً الإمام الحسين (ع) بالنسبة إلينا هو الذي ورث الإمامة عن أبيه بنص رسول اللّه (ص)، وهو الذي انطلق بإمامته ليرث رسالات الأنبياء كلّها، ورسالة الإسلام التي أوكل إليه أمر حمايتها ورعايتها وتصحيح كلّ ما يريد الآخرون أن يحرّفوه منها. فنحن إذاً نرتبط بالإمام الحسين، باعتبار أنَّه إمامنا الذي نأخذ منه شرعية الكلمة، وشرعية الموقف، وشرعية الحركة، وشرعية المواجهة... لأنَّ الإمام ينطلق في خطّ رسول اللّه (ص) ويمثّل في كلّ سلوكه روح رسول اللّه ووعيه، وكلّ منطلقاته في الحياة. لقد وقف في آخر حياته ليودّع المسلمين، فقال لهم: "أيُّها النّاس إنَّكم لا تمسكون عليّ بشيء إنّي ما أحللت إلاَّ ما حل القرآن وما حرّمت إلاَّ ما حرّم القرآن" لكأنَّ النبيّ يقول لهم: ليس عندي شيء خفي، وليست لديّ أوضاع باطنية. فأنا رسول اللّه إليكم، وأنا أوّل المسلمين الذين يتحرّكون بالإسلام على أساس ما أقوله لكم، ولذا تستطيعون أن تطالبوني بكلّ ما فعلته في حياتي العائلية والاجتماعية والسلمية والحربية... هل أحللتُ ما أحلّ اللّه؟ وهل حرّمت ما حرّم اللّه؟

الأسس الشرعية لمعارضة الظالمين:

وهكذا فكلّ المنطلقات، هي منطلقات الحلال والحرام في الإسلام، وليس لدى النبيّ (ص) شيء خفي يقوله، وكذلك عندما نلاحظ أمير المؤمنين (سلام اللّه عليه) عندما يتحدّث عن الخلافة، ولماذا انطلق ولماذا صارع، ولماذا جاهد، ولماذا قاتل، فإنَّه يقدّم حسابه للّه فيقول:

"**اللهم إنَّك تعلم إنَّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنُرِيَ المعالم من دنيك، ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك**"[1]، إنَّه يُعلّل حركته بالعناوين الإسلامية الكبيرة التي هي إظهار معالم الدِّين، وإصلاح واقع النّاس، وتأمين المظلومين من عباد اللّه (سبحانه وتعالى). وعندما نأتي إلى الإمام الحسين (سلام اللّه عليه) لندرس شرعية حركته فنرى أنَّه بدأها بالبيان الأوّل الذي أطلق من خلاله حركته، قال لهم: "**أيُّها النّاس إنَّ رسول اللّه قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحِلاً لحرم اللّه، ناكثاً بعهده، مخالفاً لسُنَّة رسول اللّه، يعملُ في عباد اللّه بالإثم والعدوان فلم يُغِر عليه [أو فلم يُغيّر ما عليه] بقول ولا بفعل؛ كان حقّاً على اللّه أن يُدخله مدخله. وقد علمتم أنَّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام اللّه وحرّموا حلاله، وإنّي أحقّ بهذا الأمر**"[2]، إنَّه قال للنّاس ما معناه: إنَّني أنطلق من حيث انطلق رسول اللّه (ص)، ومن حيث أمر بالثورة وبالتحرّك وبالعمل في خطّ التغيير. ثُمَّ بعد ذلك قال: "**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مُفسَداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب (ع). فمن قبلني بقبول الحقّ فاللّه أولى بالحقِّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر**"[3]وقال بعد ذلك أيضاً: "**ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه**"[4]وقال: "**لا واللّه لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد**"[5]، إنَّ كلّ هذه الكلمات وكلّ هذه البيانات تعني أنَّ الإمام الحسين (ع) قد انطلق في حركته على أساس عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أساس إعادة الحقِّ في الحياة إلى مواقعه من أجل أن يعمل النّاس بالحقِّ وإبعاد الباطل عن الواقع حتى يبتعد النّاس عنه، وأن يقف المسلم على أساس أن يجسِّد العزَّة في كلّ مواقفه، وأن يرفض الذُلّ في كلّ مواقفه، كأنَّ الإمام الحسين (سلام اللّه عليه) يريد أن يقول لكلّ الأجيال من بعده: إنَّني وقفتُ هذا الموقف من موقع إمامتي، ومن موقع تحرّكي في خطّ الرسالة. فإذا عشتم تجربةً كتجربتي، وإذا واجهكم حكمٌ مماثل للحكم الذي واجهني، وإذا عشتم واقعاً كالواقع الذي عشته وكانت لديكم الإمكانات للتحرّك وللانطلاق؛ فإنَّكم تستطيعون أن تتحرّكوا في الخطّ الذي تحرّكت فيه لأنَّكم بذلك تنطلقون من حيث انطلقتُ،

---

[1] ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص:329، مؤسسة النشر، رقم. إيران. 1404هـ.

[2] البحار، ج:44، باب:37، ص:382، رواية:2.

[3] البحار، ج:44، باب:37، ص:329، رواية:2.

[4] البحار، ج:44، باب:37، ص:381، رواية:2.

[5] البحار، ج:45، باب:37، ص:7.

وترتبطون بالحكم الشرعي من حيث ارتبطت. وهكذا فعندما نتطلّع إلى الإمام الحسين (ع)، فإنَّنا نأخذ منه شرعية التحرُّك عندما يقول لنا النّاس ـ كلّ النّاس ـ لماذا تعارضون الحكم الظالم؟ وما الأساس الشرعي لمعارضة الحكم الظالم؟ لماذا تريدون أن تغيّروا الواقع الاستكباري؟ لماذا تتحرّكون في مواجهة الباطل وفي مواجهة الظلم والانحراف؟ لماذا تتحرّكون في هذا الاتجاه وأنتم مسلمون؟

نقول لأنَّ رسول اللّه (ص) قال لنا ذلك، وأنَّ عليّاً قال لنا ذلك عن رسول اللّه، ولأنَّ الإمام الحسين ـ المفترض الطاعة ـ قال لنا ذلك بموقفه بعد أن قاله بلسانه، وقاله لنا بدمائه بعد أن قاله لنا بمواقفه، وقاله لنا بكلّ آلامه بعد أن قاله لنا بكلّ مشاعره.

إنَّ الإمام الحسين يعطينا الشرعية والقدوة والانفتاح على كلّ الواقع الذي نعيشه مع رفض حالة الحياد بين الخير والشرّ. لأنَّ الظالمين يستفيدون من الأكثرية الصامتة أكثر مما يستفيدون من جنودهم، ومن أتباعهم لأنَّ جنودهم يتحرّكون ضدّ المستضعفين فيما لا يُعطي المتفرّجون قوّتهم للمستضعفين، وبذلك يتغلّب المستكبرون على المستضعفين. فالأكثرية الصامتة هي التي يمكن أن ترجّح الكفّة عندما تتحوّل من صامتة إلى ناطقة ومن ساكنة إلى متحرّكة، تلك هي المسألة. ولهذا كان الإمامُ الحسين (ع) يُهدّد كلّ الذين استنصرهم، فلم ينصروه وابتعدوا عن المعركة بغضب اللّه (سبحانه وتعالى) وبعذابه.

إنَّنا نستطيع أن نأخذ من موقف الحسين (ع) شرعية التحرُّك، سواء كان في سلوك خطّ المعارضة السياسية أو المعارضة المسلّحة الثوريّة. فلقد عارض (ع) سياسياً في البداية، وأعلن رفضه للحكم بمختلف الوسائل، وبعد ذلك عارض من منطق الرفض العسكري. وإذا كانت المسألة عند الإمام الحسين (سلام اللّه عليه) هي مسألة الحكم المنحرف في داخل المجتمع الإسلامي الذي يأخذ شكل الإسلام، ولكنَّه يعيش قيم الكفر ومخططاته، إذا كان الإمام الحسين (ع) يرفض مثل هذا الحكم ويقاتله، فلأنَّه لا يمثّل الشرعية الإسلامية ولا العدالة الإسلامية في حكم المسلمين.

إذا كان الإمام الحسين (ع) يثور ضدّ يزيد الذي كان يصلّي ويصوم ويحجّ في الشكل، فكيف يمكننا أن نرضى ونسكت ونؤيّد من لا يؤمن بالإسلام كلّه ومن يريد أن يفرض على المسلمين شريعة الكافرين، ويضغط عليهم ليبتعدوا عن طاعة اللّه؟

إذا كان الحسين يرفض أن يضع يده في يد يزيد، فهل يقبل منا أن نضع أيدينا في أيدي اليهود أو في أيدي الاستكبار العالمي؟

بين التاريخ والواقع:

عندما نريد أن ننفتح على الحسين (ع) في عاشوراء، فإنَّ هذا الانفتاح لا يجب أن يكون استغراقاً في التاريخ لننسى الواقع كما يفعل كثير من النّاس، فيلعنون يزيد ألف مرّة وهم يحتضنون ألف يزيد في كلّ يوم ألف مرة. يلعنون الذين قتلوا الإمام الحسين (ع) "فلعن اللّه أمّة قتلتك، ولعن اللّه أمّة ظلمتك، ولعن اللّه أمّة استحلَّت منك المحارم وانتهكت حرمة الإسلام"[1].. ألا نقول ذلك ونحن نؤيّد وندعم ونحتضن كثيراً من النّاس الذين يظلمون، ويقتلون، ويستبيحون كثيراً من المحرمات التي هي في مستوى ما استباحوه من الحرمات في عاشوراء؟!

إنَّ رفض ذلك الواقع في التاريخ يستلزم رفض الواقع المماثل الذي نعيشه، أو الواقع الأكثر خطورةً الذي نواجهه. إنَّنا نواجه اليوم مشاكل كثيرة أكثر خطورة من المشاكل التي واجهها الإمام الحسين (ع) في عصره، ونشهد حالة ظلم أكثر من الظلم الذي واجهه الإمام الحسين في عصره؛ ولكنَّنا لا نتحرّك خطوة واحدة في هذا الاتجاه.

واقعنا ودروس كربلاء:

إنّنا لا نتطلّع إلى شيء في التاريخ؛ ولكنَّنا نتطلّع إلى واقع هذه الأجيال المسلمة التي تربّت على كربلاء، والتي عاشت في مشاعرها وأحاسيسها وأفكارها أحاسيس الكربلائيين ومشاعرهم. أنَّها استطاعت أن تصنع لنا الثورة، ولذلك كانت كلمة الإمام الخميني (رضوان اللّه عليه): "كلّ ما عندنا من عاشوراء" لأنَّ عاشوراء هي التي ربّت كلّ ذلك الجيل الذي تحرّك مع الإمام الخميني في ثورته قبل انتصار الثورة، وتحرّك معه بعد انتصار الثورة. وهو الذي خاض الحروب معه في إيران، وضدّ الاستكبار العالمي في لبنان وفي أفغانستان، وفي كلّ مجال.

إنَّها كربلاء. وكربلاء استطاعت أن تصنع جمهوراً للحسين (ع) يتحرّك في كلّ زمان ومكان، ليصنع لنا أكثر من كربلاء وأكثر من موقع في خطّ الإمام الحسين (ع).

[1] البحار، ج:89، باب:18، ص:219، رواية:33.

لكلّ أمّة كتابُها وعملها:

عندما نعيش في كلّ سنة ذكرى عاشوراء؛ فإنَّنا نبحث عن جمهور عاشوراء في كلّ مرحلةٍ من مراحل حياتنا المعاصرة؛ لأنَّ الهدف من بقاء هذه الذكرى على مدى الزمن، هو أن تُنتج لنا حالة حسينيةً في كلّ مرحلة من مراحل حركتنا الإسلامية في العالم؛ لأنَّ المسألة هي أنَّنا لا نريد أن نُجمِّد التاريخ كما يفعل الكثيرون من النّاس الذين يعملون على أن يسكنوا في الماضي، من دون أن يواجهوا مسؤولياتهم في الحاضر. وهذا أمرٌ مرفوض في التفكير الإسلامي، لأنَّ الخطّ الإسلامي الذي ركّزه اللّه (سبحانه وتعالى) في كتابه، هو أنَّ لكلّ أمّة كتابها، ولكلّ أمّة عملها نتيجة مسؤولياتها وواجباتها. وهذا يعني أنَّنا لسنا مسؤولين عما حدث في زمان الإمام الحسين (ع) إذ أنَّ المسؤولين هم النّاس الذين عاشوا هناك، سواءٌ منهم الذين تحرّكوا في خطّ المسؤولية فكانوا مع الحسين (ع)، أو الذين ابتعدوا عن خطّ المسؤولية فوقفوا على الحياد، أو الذين ضاعت مواقفهم أمام عواطفهم؛ فكان أمامهم مصالحهم إذ كانت قلوبهم مع الحسين (ع) وسيوفهم عليه.

الموقف المطلوب أمام حقائق التاريخ:

وعندما نستمع، بعد هذا الوقت الطويل من التاريخ، إلى سيرة الإمام الحسين (ع) وجماعة الذين يلتزمون الباطل، وجماعة الذين يتعاطفون مع الحقّ ولكنَّهم يقفون مواقف الباطل؛ عندما نواجه هؤلاء، فعلينا أن نعيش في داخل نفوسنا موقفاً نفسياً تجاههم، فنرفض الذين التزموا الباطل، وننفتح على الذين عرفوا الحقّ فانطلقوا معه.

وعندما تعيش حالةً نفسية أمام التاريخ، فعليك أن تحدّد موقفك أمام النماذج الموجودة في الواقع، هل أنا من هؤلاء النّاس الذين يقفون مع الحقّ ويواجهون التحدّيات، أو من الذين يتجنّبون الدخول في ساحة الصراع، فيجلسون على التل عندما تزدحم ساحات الصراع بالمواقف الصعبة، أو من الذين يقولون إنَّنا لا نحبّ المشاكل لأنفسنا، ليتغلب هذا الجانب على ذاك ويتغلب ذاك الجانب على ذلك إذ ليس لنا مصلحة هنا ولا هناك، وبذلك نكون حياديين بين الحقّ والباطل فلا تتخذ موقفاً محدداً. بعض النّاس على عهد الإمام الحسين (ع) كانوا يفكّرون بهذه الطريقة، كما كان بعض النّاس في زمان الإمام عليّ (ع) يفكّرون بالطريقة نفسها. وهذا موقف مرفوض، لأنَّ معنى أن تكون حيادياً هو أن تكون مع الباطل. بعض النّاس قد يفكّر بهذه الطريقة، فيقول: أنا لست مع هذه الفئة ولا مع تلك. لا مع

فلان ولا مع فلان. تارةً تكون الفئتان من أهل الباطل، صحيح، عندها عليك أن ترفضهما معاً. وهذا ما قاله الإمام عليّ (ع): "**كُن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب**"[1] الفتنة هي التي لا يُعرف فيها وجه الحقّ من الباطل. هنا لا تدع أحداً يركب عليك، ولا تدع أحداً يحلب مواقفك، كن كابن اللبون . وهو ابن الناقة الذكر في السنة الثانية من العمر . هذا في الفتنة، لكن عندما تكون المسألة مسألة أنَّ هناك حقّاً وباطلاً، فإنَّ عليك أن تكون مع الحقّ ضدّ الباطل.

يقول الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع): . "**أبلغ خيراً وقل خيراً ولا تكن إمّعة. قلت: وما الإمعة؟ قال: لا تقل أنا مع النّاس، وأنا كواحد من النّاس**"[2]

أمّا النموذج الثالث، فهو نموذج النّاس الذين يتعاطفون مع الحقّ كمن يُحبّ أهل الخير، ولكنَّه ليس مستعداً أن يلتزم مسؤولية الخير. يحبّ أهل العدل، ولكنَّه ليس مستعداً أن يلتزم خطّ العدل. يحبّ أهل الحقّ، ولكنَّه ليس مستعداً أن يتحمّل مسؤولية الحقّ معهم.. بل كلّ ذلك وفق حساباته الخاصة وعلى أساس مصالحه المادية، بحيث يلاحظ ما هي مصالحه المادية فيحاول أن يتحرّك فيها.

وهناك حالة الذين يلتزمون الحقّ ويتحرّكون من خلاله. هنا علينا . ونحن نقرأ ذلك التاريخ وننفعل به . أن نحدّد مواقفنا: مَن نحن؟ هل نحن من فريق الحياديين؟ هل نحن من فريق الذين يغلبون مصالحهم على مبادئهم؟ هل نحن من فريق الذين يؤمنون بالباطل؟ أو نحن من فريق الذين يؤمنون بالحقّ؟

من نحن؟ وعلى أساس تحديد الشخصية يتحدّد الانتماء.

هل نحن ممن يتحرّك في خطّ إصلاح الأمّة على خطّ رسول اللّه (ص)، أو نحن ممن لا يهتمون بذلك. ما هو الخطّ؟" **أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**" .

إنَّ الحسين (ع) يقول أريد أن أدرس واقع الأمّة كلّها في سلبياته وفي إيجابيته، ما هي السلبيات؟ هي مواقع السلوك الذي يتحرّك في مواقع غضب اللّه مما حرّمه اللّه على النّاس. وما هي الإيجابيات؟ هي مواقع السلوك في ما يرضاه اللّه في الواجبات التي أراد اللّه لنا أن نتحرّك فيها.

الحسين (ع) كان يريد لحركته أن تكون صدمةً قويةً للواقع الفاسد، أراد أن ينتقي لها الذين يعيشون الرسالة بكلّ معانيها في عقولهم ومشاعرهم وخطواتهم العملية في الحياة. لهذا أن

[1] نهج البلاغة، ج:9، باب:151، ص:146.
[2] البحار، ج:75، باب:25، ص:325، رواية:3.

تكون حسينياً، يعني أن تكون آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر في خطّ الإسلام، وأن ترفض كلّ ما عدا الإسلام.

بعض النّاس يقول: هل تريدنا أن نعادي النّاس كلّهم ونقول: نحن مسلمون ونرفض الخطّ الماركسي، والخطّ الاشتراكي، وطريقة التفكير من خلال بعض النظريات على أساس قومي، ونرفض الليبرالية وما إلى ذلك؟ هل تريدنا أن نعادي النّاس؟ بعض أولادنا ينتمون إلى هذا الخطّ وبعضهم الآخر ينتمون إلى ذاك الخطّ. لماذا تريد أن تضيّق الإسلام؟! بعض النّاس يفكّرون بهذه الطريقة أو يردّون على هذا الطرح بهذه الطريقة، وبذلك يعتبرون ما نطرحه تطرفاً ويصنّفوننا في دائرة المتطرفين.

الحسين كان مسلماً وليس عنده شيء زائد عن الإسلام. انطلقت شخصيته من موقع إسلامه حين قالها رسول اللّه: "**حسين مني وأنا من حسين**" [1]. كيف هذا التفاعل بين الحسين (ع) وبين النبيّ؟ هل هو تفاعل النسب؟ إذا كان الحسين من رسول اللّه لأنَّه جدّه، فكيف يكون رسول اللّه من الحسين، والحسين ابن بنته؟ إنَّ هذا التفاعل هو بتجسّد الإسلام فيهما. ولهذا كان كلّ واحد منهما من الآخر لكونهما معاً في خدمة الإسلام.

لهذا لنتفق على أن تكون لنا عاشوراء إسلامية نؤكّد فيها خطوط عقائدنا ومواقفنا ومواقعنا ومناهجنا وسياستنا في الحياة... وعندما نقول ذلك، لا نقول إنَّنا ننغلق على الآخرين، بل إنَّنا مسلمون ومستعدون أن نتعايش ونتعاون حتى مع غير المسلمين، على أساس الخطوط المشتركة التي تقتضيها طبيعة الحياة؛ ولذلك نعيش مع الحسين (ع) لنكون من جمهوره ومن أتباعه.

في كربلاء أفكار تنبض بالحياة:

حين نستعيد أجواء عاشوراء، فإنَّما نستعيدها لنعتبر بها ونتعلّم منها، ونعيشها من أجل أن نكون في المرحلة التي تكمل تلك المراحل، لأنَّ الحسين (ع) كان خطوةً متقدّمة في المسيرة الإسلامية الطويلة التي لن تنتهي حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها، إنَّه كان يتمثّل بهذه الآية الكريمة: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب:23] هناك من انتهت مرحلته ولاقى وجه ربِّه، وتلك هي قصة عاشوراء.

[1] البحار، ج:43، باب:12، ص:261، رواية:1.

عهد مع اللّه:

قصة كلّ أبطال عاشوراء أنّهم عرفوا الحقيقة، وعاهدوا اللّه. اعتبروا أنَّ بينهم وبين اللّه عهداً، وأنَّ الإنسان الذي يُعاهد اللّه لا بُدَّ له أن يصدق اللّه عهده. ومعنى أن يصدق مع اللّه في عهده، أن ينظر ـ في كلّ مرحلة من مراحل حياته ـ إلى كلّ ما يعمله، وإلى كلّ ما يريد أن يسير فيه، ليجد هل هو منسجمٌ مع عهده مع اللّه أو لا؟ والآن، كيف نفهم عهد اللّه هذا الذي أشارت إليه الآية، وهذا الذي تمثّل به الإمام الحسين (ع) في كلّ وقفة من وقفات الشهادة التي كان يقفها أصحابه وأهل بيته (ع)، ما هو عهد اللّه؟ عهد اللّه هو الإسلام، وهو الإيمان. معنى أنّك مسلم، هو أن تعاهد اللّه سبحانه وتعالى، وأن تسلّم كلّ حياتك له وفي سبيله، أن تجعل كلّ خطواتك في طريقه، أن تواجه كلّ التحدّيات، وكلّ الأخطار، وكلّ العقبات في سبيل اللّه، ومن أجل اللّه... ذلك هو عهد اللّه، أن تُسلّم له أمرك وحياتك. لا أمر لك مع أمره، ولا كلمة لك مع كلمته. تقول في كلّ مرحلةٍ من مراحل حياتك وفي كلّ يوم تصبح فيه وتمسي: طاقاتي كلّها لك وحياتي كلّها لك.

جون العبد الأسود:

ولا يبقى لنا إلاَّ أن نفهم موقفنا الذي يمتد من مواقف أصحاب الحسين (ع)، وهو موقف الإنسان الذي يشعر بالمسؤولية أمام اللّه؛ فيجعل حياته منسجمة مع خطّ المسؤولية. إنّنا نلتقي بهم في موقف (جون) العبد الأسود مولى أبي ذر الغفاري. ولقد عاش بعد أبي ذر مع الأئمة، ومع الحسين (ع) وأهل بيته، يخدمهم بكلّ طاقته. وعندما انطلقت المعركة في كربلاء خاطبه الإمام الحسين وقال له: **"يا (جون) أنت في إذن مني فإنّما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتلِ بطريقتنا"**[1]. أنت كنت خادماً لنا، تخدمنا لتعيش وتضمن حياتك معنا، ونحن الآن في موقف لا يُغري إنساناً بالربح، ليس فيه إلاَّ الموت، فحاول أن لا تبتلِ بطريقتنا.

موقف حر:

ماذا كان جوابه؟ قال: **"يا سيّدي أنا في الرخاء ألحسُ قصاعكم وفي الشدّة أخذلكم. واللّه إنَّ ريحي لمنتِنٌ وإنَّ حسبي للئيم ولوني لأسود. فتنفس عليّ بالجنّة، فتطيب ريحي ويُشرف حسبي ويبيض وجهي"**[2]...!! وتحرّك هذا الإنسان في خطّ الشهادة، لأنَّه شَعَرَ أنَّ هناك عهداً بينه وبين اللّه، وهو عهد الإيمان والإسلام، وأن لا تكون علاقته مع أهل البيت، علاقة خبز ومال، وإنَّما هي علاقة الإيمان حتى الشهادة.

---

[1] البحار، ج:45، باب:37، ص:22.

[2] نفس المصدر

حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة:

وهكذا عندما نقترب من هؤلاء الذين كانوا يتحسّسون المسؤولية، ويصدقون بالتزاماتهم؛ نقف أمام حبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، كانا صديقين وجاءا للمعركة، وجاهدا بين يديْ الإمام الحسين، وعاشا مع الحسين (ع) الالتزام بخطّ الإسلام. وصُرِع مسلم بن عوسجة، فمشى إليه الإمام الحسين (ع) ومعه حبيب بن مظاهر وجلسا عنده وهو في حالة الاحتضار، قال له حبيب: واللّه لولا أنيّ أعلم أنيّ في الأثر لأحببت أن توصي إليّ، فإنَّ الصديق يوصي صديقه في حالة الاحتضار، يوصيه بأهله وبعياله. ولكنَّ مشكلتي أنيّ سأموت من بعدك وسأسير في نفس الطريق. كنت أحبّ أن توصيني لأنفّذ وصيتك، فقال له: لي وصية تستطيع أن تنفّذها الآن. قال: وما وصيتك؟ قال: أوصيك بهذا . وأشار بيده للإمام الحسين (ع) . جاهِدْ دونه حتى تموت.

وصية الشهداء لا نبالي أن نموت على الحقّ:

هذا هو الالتزام بالخطّ والصدق في الإيمان، فقد كان يفكّر في القائد وهو في حالة الاحتضار، وكان يوصي بالجهاد، ويفكّر بأصدقائه أن يسيروا حيث سار هو وأن ينطلقوا حيث انطلق.

عليّ الأكبر يقول لأبيه الحسين (ع) بعدما استرجع قائلاً: ﴿**إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**﴾ [البقرة:156]: يا أبتاه لم استرجعت؟ قال: عَنّ لي فارس، وأنا في المنام، يقول القوم يسيرون والمنايا تسير خلفهم. فعلمت أن نفوسنا نُعِيت إلينا.

قال عليّ الأكبر: يا أبتاه ألسنا مع الحقّ؟

قال الحسين: بلى، والذي نفسي بيده.

قال عليّ: واللّه لا أبالي أوقعت على الموت أو وقع الموت عليَّ[1].

تلك هي القضية، أن يفكّر الإنسان في هذا الاتجاه في كلّ ما يعمل وفي كلّ ما يقول. لا بُدَّ أن يكون الهاجس عندك، أنَّك على حقّ أو على باطل؟ عندما تتكلّم، هل كلمتك كلمة حقّ أو كلمة باطل؟ وعندما تعمل، هل عملك يسير في طريق الحقّ أو في طريق الباطل؟ وعندما تنتمي، هل انتماؤك حقّ أم باطل؟ عندما تؤيد وترفض؛ القضية أن نكون محقّين. وعندما نكون محقّين ليس هناك مشكلة في أن نموت أو نحيا. عندما نكون محقّين ونبقى في

[1] البحار، ج:32، باب:12، ص:599، رواية:475.

الحياة، فستكون حياتنا كلّها خطوات متحرّكة في طريق الحقّ. وعندما نكون محقّين ونقدم على اللّه سبحانه وتعالى، فإنَّ اللّه سيتقبلنا برحمته وبلطفه.

لنفكّر في قضية الحقّ:

القضية هي قضية الحقّ والباطل، ذلك لأنَّ اللّه هو الحقّ، وأنَّ ما يدعون من دونه هو الباطل. هذا هو الأساس الذي ينبغي أن يكون أساس كلّ تحرّكنا في الحياة، أن يكون التحرّك الذي يخدم خطّ اللّه. وهكذا عندما نريد أن نُصدق اللّه ما عاهدنا عليه، فإنَّ الصدق يكلّف الكثير، أن تخاف وأن تخسر بعض الأصدقاء والمواقف؛ فإنَّ الإنسان عندما يتحمّل ما يتحمّل من مسؤولية، لا بُدَّ من أن يوحي لنفسه بالثمن الذي يستطيع من خلاله أن يخسر بعض الأشياء والأوضاع.

لا بُدَّ أن نعمّق الجانب الروحي:

قد علّمنا اللّه أن نفكّر أنَّ خسارة الدنيا قد يعوضها اللّه في الدنيا وقد تكون لحساب المستقبل. والمؤكد أنَّ اللّه يعوضها على الإنسان في الآخرة. لا بُدَّ أن نفكّر في الآخرة، وفي اللّه، وفي الجانب الروحي في حياتنا الذي يجعل كلّ واحد منّا يعيش الهمّ الكبير في حياته. أن يرضى اللّه، ذلك هو الهمّ الكبير. إذا استطعنا أن نعيش هذا الهمّ الكبير في حياتنا، فسوف نواجه المشاكل بقلب مفتوح، كما كان رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وآله وسلم.

ماذا كان يقول رسول اللّه (ص)؟ يرفع طرفه إلى السّماء ويقول: "**أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي إلى من تكلني؟**"[1] ثُمَّ يقول بعد ذلك: "**إن لم يكن بك عليّ غضبٌ فلا أبالي**"[2] .

إذن فالهمّ الكبير أن لا يغضب اللّه.

وعلى هذا، فمن الضروري أن يكون لنا شعبٌ يعيش الوعي السياسي. فالشعب الواعي سياسياً، والذي يحمل في قلبه رسالته وخوفه من اللّه وحبّ اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ إنَّ شعباً كهذا لا يمكن أن يسيطر عليه أحد.

وعلينا أن نعرف ماذا وراء الشعار، وكيف ينطلق في حياتنا، بحيث لا نبقى مجرّد أناس نشغل حناجرنا وأفواهنا بالهتافات، بل أن نُشغل عقولنا حتى نفكّر في ما هناك من الخطط التي تُدبّر لنا في الخفاء.

هذا الواقع نعيشه نحن اليوم، ولا بُدَّ من علاجه حتى لا يكون واقعنا ـ عندما نتحرّك ـ واقع أهل الكوفة، الذين كانت قلوبهم مع الحسين (ع) ولكن سيوفهم عليه، حتى لا تكون قلوبنا

---

[1] البحار، ج:19، باب:5، ص:22، رواية:11.

[2] نفس المصدر السابق.

مع القادة الطيبين ومع النّاس المخلصين ولكن سيوفنا عليهم، عندما تتحرّك الدنانير أو الليرات أو الدولارات أو غير ذلك من العملات الصعبة وغير الصعبة، التي لا يزال النّاس يلهثون وراءها ليبيعوا مبادئهم، وخططهم، وحياتهم...

لعلّ السؤال الأكثر إلحاحاً عند كلّ وقفة مع ذكرى عاشوراء، هو:

ما القضايا التي طرحها الإمام الحسين (ع) كأساس لحركته وكمسوّغ لثورته؟ ما هذه القضايا بالتفصيل؟

هناك نوعان من القضايا، نوعٌ يتصل بشخصية الحاكم الذي يريد الحسين (ع) للأمّة أن تثور عليه، ونوع يتصل بموقف المسلم من الضغوط والتحديات والعروض التي توجّه إليه.

شخصية الحاكم:

كان الإمام الحسين يعيش في نطاق الجوّ الإسلامي الذي كان يتزعمّه حاكم يتظاهر بالإسلام. ولكن كيف طرح الإمام الحسين قضية المسؤولية؟ لقد طرحها من خلال كلمة قالها رسول اللّه (ص)، ويُقال إنَّ أول بيان صدر من الإمام الحسين في تحرّكه هو هذا البيان.

أيُّها النّاس، إنَّ رسول اللّه (ص) **قال:** "**من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم اللّه، ناكثاً بعهده، مخالفاً لسنّة رسول اللّه، يعمل في عباده بالإثم والعدوان فلم يغر [وفي رواية فلم يغيّر ما] عليه بقولٍ ولا بفعل؛ كان حقّاً على اللّه أن يدخله مدخله**" ـ ثُمَّ طبّق(ع) الأمر على الواقع ـ "**وقد علمتم أنَّ هؤلاء القوم . ويشير إلى بني أمية وأتباعهم . قد لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام اللّه وحرّموا حلاله، وإنّي أحقّ بهذا الأمر**.." هذا بيانه الأول. نريد هنا أن نقف وقفات قصيرة حول هذه الدعوة التي رواها الحسين (ع) عن رسول اللّه (ص)، وحول التطبيق الذي طبقه الحسين (ع) على الواقع؛ ثُمَّ بعد ذلك ندخل في عملية مقارنة بين ذلك وبين الواقع الإسلامي في البلاد التي يحكمها مسلمون أو في البلاد التي يحكمها غيرُ المسلمين. ماذا قال رسول اللّه؟

إنَّ رسول اللّه يدعو المسلمين إلى أن يواجهوا مسألة الحاكم مواجهة المسؤولية، لا مواجهة اللامبالاة. يعني ليس لك أن تقول كما يقول بعض النّاس: ما لنا وللدخول بين السلاطين، فليكن الحاكم كيف ما كان فنحن معه. هذا منطق يردّده البعض في مجتمعنا!!

الأمّة مسؤولية الحاكم:

لقد حمّل النبيّ (ص) الأمّة مسؤولية الحاكم. إذا كان الحاكم عادلاً يحكم بما يراه اللّه وبما أنزله، وبما جاء به رسوله (ص) ويعدل بين النّاس؛ فيجب على الأمّة أن تسانده وأن تخضع له وتطيعه. ومن ابتعد عن طاعته، فإنَّه ابتعد عن طاعة اللّه ورسوله. فإذا كان هناك حاكمٌ

عادلٌ؛ فمن مسؤولية الأمّة أن تطيعه وأن تخضع له. لأنَّ الحاكم في الإسلام ـ فرداً كان أو هيئة ـ إنَّما يمثّل توازن المجتمع وتوازن الأمّة في آنٍ معاً. فهو يمثّل السلطة العليا الضاغطة على كلّ السلطات المتدرجة في المجتمع. فإذا كانت السلطة العليا سلطةً عادلةً، فإنَّها تجعل كلّ السلطات التي تخضع لها وتتحرّك من خلالها تسير في خطّ العدل. وإذا كانت هذه السلطة جائرة، فمن الطبيعي أن يكون النّاس على دين ملوكهم ورؤسائهم. وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

إذا كان ربّ البيت بالطبل ضارباً فشيمة أهل البيت كلّهم الرقصُ

إنَّنا نفهم من هذا أنَّ قضية الحاكم في الإسلام ليست قضية تعيش خارج اهتمامات الأمّة، بل يتحمّل كلُ فردٍ من أفرادها مسؤولية الحاكم العادل بطريقة إيجابية، ومسؤولية الحاكم الجائر بطريقة سلبية.

ارتباط المبدأ بالسياسة:

حين يشير الرسول (ص) إلى ارتباط قضية الحكم بالمبدأ، فإنَّه يشير إلى عمق الارتباط بين المبدأ والسياسة، ومن دون أن يرى النّاس مانعاً لرسول اللّه أن يتكلّم بذلك، مع أنَّهم يرون حديث السياسة غريباً عن العلماء؛ حتى أنَّ امتياز العالم ومصداقيته لدى البعض يعود إلى عدم تدخله في الواقع السياسي، فعمله واضح جداً وبسيط جداً. فمن المسجد للبيت، ومن البيت للمسجد. ولعلّ هذا المثل الأعلى في مجتمعنا اليوم هو الإنسان المؤمن البعيد جداً عن هذا الجوّ، فلو تقاتل أهل البلد أو تصالحوا، فالأمر سواء لديه. إنَّ هذا المقياس خاطئ دون شك. فإذا كان لا يصح تدخل العلماء بالسياسة، فكيف تدخل رسول اللّه (ص) بالسياسة.

الحسين (ع) يتكلّم عن سياسة رسول اللّه (ص). والإمام الحسين (ع) بنفسه يشير إلى منهجٍ مستقرٍ في السياسة. إذن على حسب هذا المقياس، فأساليب النبيّ (ص) ينبغي أن نغيّرها!

كلّ الذين يشتغلون بالسياسة التي تؤيّد النظام الجائر، هؤلاء يزحفون وراء الظلمة، ووراء الزعماء الفسقة، ووراء كلّ هؤلاء الذين يعيثون في الأرض فساداً... هؤلاء هم وعاظ السلاطين، علماء السوء. أمّا العالم الذي يريد أن ينطلق في حياة النّاس بالصدق وبالإخلاص، لكي يقول للظالم يا ظالم، ويحدّد مواطن الفساد ليدفع النّاس في الحياة إلى خطّ القرآن الذي يقول: ﴿ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**﴾ [النحل:90] ،كلّ من يدعو للعدل إنَّما

يسير في خطّ اللّه سبحانه وتعالى. وعلى كلّ إنسان في المجتمع أن يتحمّل مسؤوليته كبيراً كان أم صغيراً.

وتحمّل المسؤولية يتمثّل في بعض جوانبه بقيام الإنسان بتخفيف آلام المجتمع ومحاربة الظلمة والفساد فيه. لو صلّى الإنسان ألفَ ركعةٍ في اليوم، ثُمَّ انطلق ليطوف ببيوت الظالمين؛ فإنَّ اللّه يضرب بصلاة هذا الإنسان بوجهه ويقول له: ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ** ﴾ [العنكبوت:45].

التخلّف أنتج مقاييس خاطئة:

إنَّ الطواف ببيوت الظالمين وتأييدهم هو من أشدّ أنواع المنكر. على هذا المقياس يجب أن نقيس واقعنا وحياتنا، فلدينا مقاييس خاطئة تعلّمناها من عهود التخلّف وذهنيته؛ وبهذه الطريقة حاول الاستعمار أن يُبعد الطاقات الخيّرة عن المجتمع، بالإيحاء بأنَّ الإنسان الروحي هو الذي لا يتدخل بالسياسة. وكيف لا يتدخل؟ أي لا يُحارب المستعمر، لا يُحارب الظالم؛ بل يسير في حياته على أساس أن لا شُغلَ له بكلّ هذه الواقع. وحين لا يكون للطاقات الخيّرة دور بقضايا الأمّة؛ فإنَّ النّاس تتهالك وراء الحاكم. حيث ينخذل الواعون من الأمّة.

إنَّ من واجب العالم الواعي أن يقف ليبيّن للنّاس الحقّ حتى لو رجَمَه النّاس بالحجارة، أو لعنوه أبداً.

إنَّ الإنسان الذي يمشي في طريق الحقّ، لا يحتاج إلى رضى النّاس، وإنَّما يحتاج إلى رضى اللّه سبحانه وتعالى. من أراد رضى القاعدة الشعبية فإنَّه يعمل ليقنع هذا، ويرضي ذاك. لكنَّ الإنسان المؤمن هو الذي ينظر اللّه من وحي رسالته ."صانع وجهاً واحداً يكفِكَ الوجوه كلّها".

هذا هو الخطّ، وهذا هو المفهوم الصحيح. ثُمَّ نتبع كلمة رسول اللّه (ص)، كلمة قالها، ومن الراوي لتلك الكلمة؟ إنَّه الحسين (ع): إنَّه يُتابع الحديث عن الحاكم الجائر الذي يستحل حرم اللّه... فهو يعمل على أساس تحقيق مطامعه ومطامحه وشهواته، ويحاول أن يقتل، أن يسجن، أن ينتهك كلّ حرمة، أن ينتهك كلّ عِرض... أن ينتهك كلّ الأقداس في سبيل أن يحقّق مطامعه ومطامحه وشهواته في الحياة مستحلاً لحرم اللّه كلّها: حرمة المؤمن هي من حرمات اللّه، عزّة الأمّة هي من حرمات اللّه، كرامة الأمّة هي من حُرمات اللّه، مستقبل الأمّة، استقلالها، حريتها... كلّ ذلك هو من حرمات اللّه، وتحضرني هنا قصة عن قيمة المؤمن في حساب الإسلام.

حرمة المؤمن:

ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) **أنَّ الله تعالى فضَّل حرمة المسلم على الحُرَمِ كلِّها** [1] ، ومن المعلوم أنَّ من أشدِّ حرمات الله حرمة الكعبة ، فإذا هدم أحدٌ حجراً من أحجار الكعبة، فماذا يحدث في العالم الإسلامي؟

إذا أراد أحدٌ أن يلطِّخ الكعبة بالقاذورات، ماذا يحدث في العالم الإسلامي؟

لكن أن يضرب أحدهم مؤمناً أو يهينه أو يسجنه أو يعذِّبه أو يقتله... هذا عند الله أعظم من حرمة الكعبة.

فالإنسان المؤمن في الإسلام أعظم من المسجد، وأعظم من المؤسسة... الكعبة في نظر الإسلام إنَّما هي للنَّاس حتى يتعبَّدوا من خلالها، أمَّا المؤمن فهو عند الله أعظم من الكعبة. هذه هي حرمات المؤمن. فكلُّ من يستحلُّ حُرمةً من حرمات المؤمن، يصدق عليه القول: مُستحلاًّ لحرم الله. ثُمَّ يتابع الإمام الحسين (ع) الصفات: "ناكثاً لعهده، مخالفاً لسُنَّة رسول الله"؛ سُنَّة رسول الله (ص) أي شريعته، الخطُّ الذي خطَّه رسول الله (ص) في الحياة.

الحلال والحرام نظام حياتنا:

إنَّ شريعة اللّه تتمثّل في الحلال والحرام الذي هو حياة الإنسان. وإذا رفض الإنسان الحلال والحرام الذي جاء به رسول اللّه (ص)، فمعنى ذلك أنَّه يرفض كلّ نظام جاء من عند اللّه.

فقصة حلال اللّه وحرامه هي نظام حياتنا الذي أنزله اللّه على رسوله، لأنَّ اللّه سبحانه وتعالى أعرف بما يُصلحنا وما يُفسدنا. **فالرسول (ص) يقول: "من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم اللّه مخالفاً لسنّة رسول اللّه ناكثاً بعهده"**. والصفة الثالثة للسلطان الذي يجب على الأمّة أن تثور عليه هو الذي يقف في أول ولايته، ليبيّن للنّاس أنَّه قادم لنشر الأمن، فيُعطي النّاس التزاماً ومواثيق، ثُمَّ ينكث ليعمل في عباد اللّه بالإثم والعدوان والظلم، يعتدي على الأبرياء الآمنين، والمعذبين المضطهدين. إنَّه السلطان الجائر، حياته هي العدوان بكلّ ما لديه من قوّة، عدوان منه، وعدوان من الآخرين الذي يستعين بهم. هذا في داخل الحياة

[1] نهج البلاغة ، الخطبة 167

الإسلامية. إذا رأينا هذا الشخص وقلنا بأنَّ هذا لا يعنينا، ما لنا وللدخول بين السلاطين، هنا يأتي الإنذار من خلال حديث رسول اللّه (ص).. "**فلم يغر عليه بقول ولا بفعل**"، إذا لم تعلن رفضك أو مقاومتك ومعارضتك لهذا الإنسان بما تملك من قول أو فعل، فاستعد غداً عندما ينادي اللّه: ﴿**أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود:18] فإنَّك ستكون تابعاً من أتباعهم أيضاً، لأنَّ الساكت عن الحقّ شيطان أخرس. حتى الحيادي لا يَسْلَم، فليس هناك حياد بين حقّ وباطل. فالإمام عليّ (ع) قيل له عن اثنين، عن عبد اللّه ابن عمرو، وعن سعد بن مالك، إنَّهم اعتزلا المعركة التي جرت بينه وبين معاوية. **قال: "لم ينصرا الحقّ ولم يخذلا الباطل**[1] لا يكفي أن لا تنصر الباطل، إذ يريد منك الإسلام أن تقاومه. ولا يكفي أن لا تنصر الظلم، بل لا بُدَّ لك من أن تقف في وجهه وتجابهه بمقدار ما تستطيع. "**فلم يغر عليه بقول ولا بفعل كان حقّاً على اللّه أن يدخله مدخله**" هذا إذن الحاكم الذي يجب أن يُثار عليه.

تطبيق الفكرة:

كيف طبّق الإمام الحسين (ع) هذه الفكرة. لقد كانت ذريعته في الثورة على هذا الأساس، قال: "**ألا وإنَّ هؤلاء القوم**" طبعاً يقصد الحكم الذي كان موجوداً آنذاك، وكان في قمته: يزيد بن معاوية وبعض رموزه ـ عبيد اللّه بن زياد وما إلى ذلك ـ " **قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن**". الخطّ الذي يسيرون فيه في الحياة هو خطّ الشيطان، وهم يبتعدون عن خطّ الرحمن. لماذا؟ لأنَّ خطّ الشيطان إنَّما هو خطّ الظلم والفسق، واللهو والعربدة والفجور وما إلى ذلك... وقد قال الإمام الحسين (ع) عن يزيد "**رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة**"[2].

إنَّ يزيد وأتباعه قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن "**وأحلوا حرام اللّه وحرّموا حلاله**" باعتبار تلاعبهم بأحكام اللّه؛ فقد كانوا إذا ما وجدوا هناك حديثاً لا يتفق مع مزاجهم ومع أوضاعهم، يحاولون البحث عن تخريج له، بأن يأتوا إلى بعض رواة الحديث ويقولون له: اصنع لنا حديثاً يحلّل هذا الشيء. اصنع لنا حديثاً يبيح لنا هذا الفعل. أمّا ما كانوا يريدون أن يمنعوا النّاس عنه وهو حلال، فقد كانوا يحرّمونه. "**واستأثروا بالفيء**" والفيء يعبّر عن ميزانية الدولة الإسلامية، أي ما يفيء به اللّه على المسلمين وعلى النّاس. إنَّهم كانوا يستأثرون بما يفيء به اللّه على المسلمين وعلى النّاس، فيعطونه لأصحابهم ولمحاسيبهم ولأزلامهم... "**وعطّلوا حدود اللّه**" أي: القوانين التي أعدّها اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ من أجل

[1] نهج البلاغة، ج:19، باب:268، ص:147.
[2] البحار، ج:44، باب:37، ص:325، رواية:2.

ضبط حياة المجتمع في جميع الحالات. يقول الإمام الحسين: "**وإنّي أحقّ بهذا الأمر**" لأنّي أحمل مسؤولية الإسلام، ومسؤولية المسلمين بالوقوف أمام الأوضاع والأجواء التي تنطلق في الخطّ الذي يسيء إلى مستقبل الإسلام ومستقبل المسلمين.

إذن، نعرف من خلال هذا، أنَّ المسوّغ الشرعي لثورة الإمام الحسين (ع) هو في كونها ثورة على الحاكم الجائر، المستحل لحرم اللّه، المخالف لسنّة رسول اللّه، الناكث لعهده، العامل في عباد اللّه بالإثم والعدوان... هذا الواقع كم من مثيل له اليوم؟

قضايا طرحتها الثورة في قيم "لا أعطيك إعطاء الذليل":

إنَّ لقضية الحكم في الإسلام ولشخصية الحاكم فيه دوراً كبيراً في حركة الأمّة من أجل مواجهة مسيرة هذا الحاكم. فإن كانت المسيرة مسيرة عدل وحقّ، فعلى الأمّة أن تساند المسيرة وتدعم هذا الحكم. وإذا كانت المسيرة مسيرة باطل وظلم، فعلى الأمّة أن تواجه هذه المسيرة بالرفض، وتواجه هذا الحكم بالثورة عليه، سواء كان الحاكم مسلماً ينتمي إلى الإسلام، أو كان غير مسلم. لأنَّ موضوع العدل موضوع لا يقبل المساومة والمجاملة والتسويات... لأنَّ اللّه يريد للحياة كلّها أن تقوم على أساس العدل على الصعيد الفردي والاجتماعي، وعلى صعيد الحكم كلّه.

وقد أثار الإمام الحسين (ع) القضية من جانب آخر، من خلال شعارات طرح فيها قيماً أراد للإنسان المسلم ـ فرداً أو جماعة ـ أن يتبنى هذه القيم في حياته ومسيرته. وهناك كلمات عديدة في هذا المجال.

الكلمة الأولى: "لا واللّه لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد"[1].

والكلمة الثانية: "ألا وإنَّ الدَّعيَّ ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السِلّة والذلة. وهيهات له ذلك هيهات مني الذلة أبى اللّه ذلك ورسوله والمؤمنون"[2].

الكلمة الثالثة: "إنّي لا أرى الموتَ إلاَّ سعادةً والحياة مع الظالمين إلاَّ بَرَماً"[3].

بين عزّة المؤمنين وإقرار العبيد:

هل هذه الكلمات التي تكلّم بها الإمام الحسين (ع) تمثّل انفعالات ذاتية للإمام الحسين (ع)؟

---

1 البحار، ج:45، باب:37، ص:7.

2 الدّعي: الذي يدّعي غير أبيه، والمتهم في نسبه. السِلّة: استلال السيوف./ البحار، ج:45، باب:37، ص:83، رواية:10.

3 البحار، ج:44، باب:26، ص:192، رواية:4.

هل كان الإمام الحسين (ع) يعبِّر عن حالة نفسية متأزمة في داخله، عندما كان يقول: "**وإنّي لا أرى الموت إلاَّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاَّ بَرَماً**".

لمن تُعطي يدك؟

الحسين (ع) لا يتكلّم ذاتياً، بل يتكلّم عن خطٍّ للحياة، للعمل، للحركة. إنَّه يقول للإنسان المسلم: إذا أردت أن تضع يدك في يد أيّ إنسان آخر، فيجب أن تضعها من موقع العزّة والكرامة. لأنَّ معنى ذلك أنَّك تعاهده وتتعاقد معه وترسم خطةً مشتركةً بينك وبينه، وتعرف ما يمثّله هذا الإنسان من فكرٍ وعقيدةٍ وسلوكٍ. إذ إنَّ وضع اليد بيعةٌ، وعهدٌ، وعقدٌ.

من تُبايع أنت؟

من تعاهد؟

مع من تتعاقد؟

قبل أن تضع يدك في يد إنسان ما ادرس شخصيته، ادرس خطّه، ادرس موقفه منك، ادرس أدوات الضغط التي يملكها ضدَّك... ثُمَّ بعد ذلك حاذر أن تضع يدك في يد إنسان يملك كلّ أدوات الضغط، وتكون قضية المعاهدة بينك وبينه قضية صيغة يستغل فيها القويّ الضعيف. لا تضع يدك في يد إنسان إذا كانت يده تريد أن تكون فوق يدك من أجل أن تفرض عليك شروطاً لا تؤمن بها. فإذا كانت القضية كذلك، فعليك أن تسحب يدك. لأنَّ القضية أن تكون لك عزّةٌ أو لا تكون. أن تكون ذليلاً أو لا تكون. ولقد قالها الحسين (ع) لهم، لأنَّهم قالوا: "انزل على حكم بني عمك" انزل على حكم يزيد يحكم فيك ما يشاء، انزل على حكم ابن زياد يحكم فيك ما يشاء. ونحن نعدك أنَّك سوف تحصل على حُكم مُنصف.. إنَّ بني عمك لن يتصرفوا معك إلاَّ خيراً، عند ذلك قال: "**لا واللّه لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل** " لا يمكن أن تصافحكم يدي.. أو تعاهدكم. ولا يمكن أن أسير معكم في أيّة قضية، ما دامت القضية هي قضية إذلال المؤمن وإذلال مسيرة المؤمن "**ولا أقرّ لكم إقرار العبيد**". على أنَّ الإمام الحسين (ع) يريد أن يوحي لكلّ النّاس حين يقول ما معناه أنَّك إذا ما أردت أن تقرّ بشيء أو أن تعترف به، فلا بُدَّ من أن تعترف من موقع حرية إرادتك. ومن موقع قناعتك. أن تعترف بما تعترف به لأنَّك مؤمن به، ولأنَّك مقتنع به لأنَّك تجد أنَّه الحقّ، فتقول: نعم، في الوقت الذي تستطيع فيه أن تقول لا. لو كانت القضية في غير قناعتك، وفي غير الاتجاه الذي تقتنع به؛ إمّا أن تقرّ لأنَّ الآخرين يقولون لك: حاول أن توقع، حاول أن تقرّ تحت تأثير الضغوط والتهديد والوعيد...

إنَّ ذلك هو "إقرار العبيد" الذي لا يملك من خلاله الإنسان أن يريد، لماذا؟ لأنَّ الآخرين يريدون له ذلك، أو لا يريدون، لماذا؟

إنَّ الحسين (ع) يرفض ذلك، ويريد أن يقرّ ما يريد أن يقرّ به على أساس "إقرار الأحرار" لا "إقرار العبيد". هل هذه مجرّد كلمة؟ لا، إنَّها كما قلنا خطّ. خطّ لا بالتاريخ فقط، لا يخصّ الحسين (ع) وحده، وإنَّما هو خطٌّ يتحرَّك في حياتنا العملية في كلّ ما يُراد لنا في الداخل وفي الخارج.

ماذا يُراد بنا كمسلمين هنا وهناك؟ إنَّها الفكرة نفسها، لا بُدَّ لكم أن تعطوا أيديكم وتبايعوا، ليس من الضروري أن تكون البيعة في صيغتها أو شكلها كما كان يحصل في السابق. أصبحت لدينا اليوم صيغ عصرية لا تحتاج فيها أن تأتي إلى إنسان تضعَ يدك في يده، بل يمكن لك أن تسجل كلمة (نعم) على ورقة وتضعها في صندوق الاقتراع؛ ويمكن لك أن تعترف بسلطة ما فتخضع لها؛ ويمكن لك أن تضع على باب محلّك صورة تريد من خلالها أن تبرز إخلاصك لصاحب الصورة، وأن تبرز لافتة في شارعك وتحاول من خلال ذلك أن تعبِّر أنت والآخرين عن خضوعك وإخلاصك لهذا الإنسان الذي تكون اللافتة تزلّفاً له... لقد أصبح للبيعة أشكال عصرية جاءت بها نظريات (الديمقراطية) وغير (الديمقراطية).

ماذا يُراد من المسلمين اليوم؟

يُراد لهم أن يُعطوا أعداءهم بأيديهم إعطاء الذليل ونتساءل هنا: ما معنى أن تكون ذليلاً؟

هو أن تشعر بانسحاق قرارك، وإرادتك، وعملك... فالقرار لهم، والإرادة لهم، والخطّ العملي لهم، ليس لك من الأمر شيء. يعطونك نوعاً من أنواع الاعتراف الشكلي بشخصيتك. يأتون بشخص يحمل هويتك الطائفية أو الإقليمية أو القومية... ويضعونه كدُمية على أساس أن يوقع ما يريدون، وعند ذلك يُقال لكم: إنَّكم تشاركون في صناعة مصيركم، ولكن هل صحيح ما تقولون عن مشاركتنا، وأنَّنا نشارككم في التوقيع على الخطّ الذي رسم من قبلكم؟ صحيح هذا، ولكنَّ ومن يتمرّد على القرار فسوف يكون خارج الهيكل.

الحسين (ع) لا يتحدّث عن نفسه فقط، ولم يقل لبني أمية بصفته الشخصية "لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد". بل كان يقول: (أنا) كمسلم وكإنسان يعيش الإسلام في روحه، وفي فكره، وفي حركته في الحياة... (أنا) لا بصفتي الشخصية بل بصفتي الإسلامية، "لا أعطيكم بيد إعطاء الذليل". وعلى هذا، فإنَّ كلّ

مسلم يمكن أن يحمل هذا الشعار أمام كلّ القوى الغاشمة التي تريد أن تسحق إرادته، وتأخذ قراره، وتشلّ حركته، وتمنعه من أن يختار... إنَّ كلّ مسلم يقول من موقع إسلامه: "واللّه لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل". نقولها في كل البلاد الإسلامية أمام الهيمنة الداخلية والخارجية ، نقولها بكل ما عندنا من شعور بالعزة الإسلامية ، والكرامة الإسلامية : "واللّه لا نعطيكم بيدنا إعطاء الذليل"، نقولها من موقع حرية القرار في داخل أنفسنا حتى لو هزمنا وظلمنا وسجنّا... يبقى قرارنا هو قرار الحقّ، كما قال عمّار بن ياسر (رضوان اللّه عليه) عندما كان يُقاتل إلى جانب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع)، وهزم الجيش في بعض مراحل المعركة، وبدا على بعض النّاس حالة من الشك فقال لهم عمّار وهو في سن التسعين آنذاك: "واللّه لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر[1] لعلمنا أنَّنا على الحقّ وأنَّهم على الباطل"[2]. إنَّ الهزيمة لا تجعلنا نفقد ثقتنا بأنفسنا أو بقرارنا وإرادتنا، وبأنَّنا على الحقّ. والإمام جعفر الصادق (ع) يقول: "**إنَّ الحر حر في جميع أحواله إن نابته نائبة صبر عليها، وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره، وإن أسر وقهر واستبدل باليسر عسراً**"[3]... إنَّ حرية الإنسان في المفهوم الإسلامي الذي يمثّله مفهوم أهل البيت (ع) تنبع من حرية إرادته، بمعنى أن يكون رافضاً حتى لو لم يتحرّك لسانه، أن يرفض بقلبه، وأن يُعطي قراره وقناعته بقلبه حتى لو منعه الآخرون من أن يتكلّم أو يتحرّك. هذه هي الحرية الحقيقية التي لا يمكن أن يطالها ضعف، ولا يمكن أن تكسرها هزيمة.

الإرادة الصلبة تحسم المعركة:

إنَّ الشعب الذي يحمل قراره في داخل نفسه، والذي يؤمن بأنَّه على الحقّ، ويؤمن بحقّه في الحياة الكريمة حتى لو عاش تحت نير الاستعباد والاستعمار عشرات السنين... إنَّ شعباً كهذا ستظل حريته الكامنة في داخله، تخترق كلّ الحواجز والسدود ولو بعد حين. لأنَّ قضية القوّة والضعف ليست قضية خالدة. الأقوياء لا يخلدون في قوّتهم، والضعفاء لا يخلدون في ضعفهم: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران:26] ، ﴿**وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ } [آل عمران:140].

لنأخذ (بريطانيا) مثلاً، قبل أربعين سنة كانت الدولة العظمى التي لا تغيب عنها الشمس. أين بريطانيا الآن؟ إنَّها الدولة الرابعة، أو الخامسة في حسابات القوّة في العالم!!

---

[1] سعفات هجر: في آخر القطيف، فيما يُقال: الجيش بمنطقة بين العراق والشام

[2] البحار، ج:33، باب:13، ص:20، رواية:377.

[3] البحار، ج:79، باب:18، ص:139، رواية:22.

كيف كانت أمريكا قبل مئتي وخمسين سنة؟ كانت مستعمرة من مستعمرات بريطانيا في ما يقولون عنها اليوم: إنَّها الدولة العظمى. وهكذا ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ ... علينا أن نعرف أن لا شيء اسمه قوّة مطلقة وأنَّ ليس هناك قوّة خالدة.

عندما تكون ضعيفاً، فكّر أن تعمل على أساس أن تكون قوياً، يجب أن لا نيأس ويجب أن تكون لدينا إرادة. فالإرادة ولو بعد خمسين سنة هي التي تحسم المعركة.

وعندما نقول: هل نستطيع أن نقف أمام "إسرائيل"؟ وهل نستطيع أن نقف أمام "أوروبا"؟ ونقول هل نستطيع أن نقف أمام "أمريكا"؟ ونحن لا نملك أيّ شيء!! نصبح مثل أولئك النّاس الذين بعثهم النبيّ (ص) إلى قلعة خيبر فرجع الأول وهو يجبن أصحابه، وأصحابه يجبنونه.

هذا مرحب والأبطال من حوله، من الذي يقدر عليهم؟ لقد كانوا يقولون للأوّل لا نقدر، من موقع ضعفهم، وهو يقول لهم: لا أقدر. عند ذلك رجعوا منهزمين، وبعث النبيّ شخصاً ثانياً ورجع يجبن أصحابه وأصحابه يجبنونه. عند ذلك قال النبيّ (ص): "**لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله، كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح اللّه على يديه**"[1].

لاحظوا هذا التسلسل: يحبّ اللّه ورسوله. الذي يحبّ اللّه، ويحبّ الرسول؛ يُعطي كلّ طاقته للّه وللرسول. وعند ذلك فإنَّه يتحوّل إلى قوّة مضاعفة. فمن لديه قوّة ويمتلك إرادة داخلية تحرّك هذه القوّة، فإنَّها تصبح قوّة مضاعفة، ولكن عندما تكون لدى فلان بين النّاس قوّة وإرادة مهزومة داخل نفسه، فإنَّها ستتحول إلى صفر. إنَّ الإرادة هي الأساس، صاحب الإرادة هو الذي يربح المعركة. هناك حديث للإمام عليّ (سلام اللّه عليه): "**من أحدَّ سنان الغضب للّه قوي على قتل أشداء الباطل**"[2] أن تحدّ سنان الغضب أي أن تغضب للّه، والغضب للّه أن تغضب لكلّ قضايا النّاس التي يحبّها اللّه (سبحانه وتعالى). إذا كنت تعيش التوتر الداخلي الواعي للّه، فإنَّك تقوى على قتل أشدّاء الباطل. وهناك كلمة تقول: "**ما ضعف بدن عمّا قويت عليه النية**"[3] فبمقدار ما لديك من نفسية قوية داخلية، بمقدار ما تكون قوياً. لأنَّ دوافعك النفسية هي التي تحرّك قوتك، وهي التي تعطيك القوّة. وهذا شيء واقعي نعيشه في الحياة، فالإمام عليّ (ع) كان يحبّ اللّه ورسوله... ولهذا كان يحبّ أن يحقّق كلّ ما يملك من الطاقة في سبيل أن يرضى اللّه ورسوله... في سبيل أن يحبّه اللّه

[1] البحار، ج:21، باب:22، ص:3.

[2] البحار، ج:68 ، باب:89، ص:362، رواية:6.

[3] البحار، ج:67، باب:53، ص:205، رواية:14.

ورسوله. لا قرابة عند اللّه مع أحد، والنبيّ (ص) كذلك حيث قال اللّه عنه: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: 3-4] في نطقه ومواقفه.

إنَّ اللّه عندما يحبّ إنساناً، فإنَّه يحبّه وفق حساب معيّن. والنبيّ عندما يحبّ إنساناً، فإنَّه يحبّه وفق حساب معيّن أيضاً. وحسابات النبيّ هي حسابات اللّه، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ [الصف:4] واللّه يحبّ المحسنين... واللّـه يحـبّ المتقـين... اللّـه يحـبّ المجاهـدين... اللّـه لا يحـبّ الخـائنين... اللّـه لا يحـبّ الفاسقين... اللّه لا يحبّ الكافرين...

إذن فمحبة اللّه لها إطار معيّن. عندما يحبّ اللّه إنساناً يحبّه من خلال عمله، وعندما يبغض إنساناً يبغضه من خلال عمله. ولهذا يحبّه اللّه ورسوله، لأنَّ عليّاً كان تقياً ﴿ **فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:76] ولأنَّ علياً كان مخلصاً. واللّه يحبّ المخلصين، ولأنَّ عليّاً كان مجاهداً واللّه يحبّ المجاهدين، لأنَّ عليّاً كان زاهداً واللّه يحبّ الزاهدين. وهكذا يحبُّ اللّه ورسوله ويحبُّه اللّه ورسوله. والنتيجة أنَّ هذا الحبّ المتبادل يجعله كراراً غير فرار، لأنَّ الإنسان الذي يفرّ إنَّما هو الإنسان الذي يخاف على نفسه من الموت. والذي يحبّ اللّه ورسوله يبيع نفسه للّه ولرسوله، إذا عرف أنَّ الطريق التي يسير فيها طريق اللّه ورسوله. ﴿ **إِنَّ اللّـهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ**﴾ [التوبة:111]. ولهذا انطلق الإمام عليّ على هذا الأساس، أي على أساس أن يعيش القوّة في نفسه، القوّة من خلال إيمانه لا من خلال جسده. هو يقول في ما يروى عنه: "**واللّه ما قلعت باب خيبر بقوّة جسمانية بل بقوّة ربانية**"[1]. ليس معنى ذلك أنَّ اللّه سبحانه وتعالى أنمى له قوّته بشكل معجز، بل لأنَّ إيمانه جعل منه طاقة لا يمكن أن تجابهها قوّة. وفي هذا الاتجاه علينا أن نعمل دائماً بأن لا نشعر بالضعف والهزيمة. فإذا ما رأى أيّ منّا إرادة القوّة. وإرادة القوّة هي التي تعيّن المرء على صنع القوّة في حياته.

قوّة العلم .. وقوّة السلاح:

لا بُدَّ للأمّة أن تتدرب جيّداً لا لتقتل كيفما كان، ولكن استعداداً لأيّ معركة داخلية أو خارجية تكون مستعدة لها، على هدى الآية الكريمة: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال:60].

[1] البحار، ج:55، باب:5، ص:47، رواية:13.

لا بنيّة أن نعتدي على أحد، لكن نقول: إذا أراد أحد أن يعتدي علينا، فإنَّنا نكون في مستوى التحدي. فلسنا عدوانيين، لكنَّنا نرفض أن يعتدي علينا أحد، أن لا نعطي بيدنا إعطاء الذليل، ولا نقرّ إقرار العبيد، بل نعطي أيدينا لمن يعطينا يده، معاملة الندّ للند... عندما نقرّ لأيّ إنسان، إنَّما يكون إقرار الأحرار، ولن يكون ذلك إلاَّ إذا عملنا على صُنع القوّة... قوّة العلم وقوّة السلاح والقوّة التي لم نكتشفها بعد حتى الآن، وهي قوّة وحدة الصف التي نتمنّاها لأمتنا دائماً.

علينا أن نكتشف العلم كقوّة، والسلاح كقوّة، والتدريب كقوّة، وتقوى اللّه كقوّة، والشعور بالمسؤولية كقوّة، والوحدة كقوّة... الوحدة على أساس الحقّ لا الوحدة بأي ثمن، لنلتقي بكلمته: "**واللّه لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد**" نلتقي به في خطّ الممارسة لا في خطّ القول فقط.

الشعارات الحسينية مصدر إلهام لتحرّكنا الجهادي:

إنَّنا عندما نتابع الشعارات التي رفعها الإمام الحسين (ع) في كربلاء، وجعلها أساساً لثورته، وقاعدة لانطلاقته، ومسوّغاً لتحرّكه، فإنَّما نريد أن تلهمنا تلك الشعارات سلوك الخطّ الجهادي الإسلامي. خلافاً لكلّ أولئك الذين يشجعون الاستسلام والاسترخاء، والانهزام، والخضوع. حتى نجدهم يطرحون علامات الاستغراب أمام موقف الإمام الحسين (ع) في كربلاء، كونه ألقى بنفسه في التهلكة دون أن يفوتهم الاستشهاد بالآية الكريمة التي تقول: ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ [البقرة:195]!

ومن خلال هذا الخطّ، نعرف كيف استطاع الاستعمار أن يجمّد الإسلام في نفوس الذين أصبحوا اليوم رموزاً للإسلام، وكيف استطاع هذا المنطق أن يحوِّل الإسلام إلى شعور بالذل والخضوع.

حساب القادة:

هناك فكرة يجب أن نعرفها أنَّ النبيّ محمَّد (ص) والأئمة (ع) ليس لديهم تكاليف خاصة، قد تكون هناك تكاليف معينة في موقع مسؤوليتهم كمسؤولين، ليس عندهم تكاليف سرية؛ وما من شيء إلاَّ قد بينه اللّه لرسوله، وما من شيء إلاَّ بينه الرسول للنّاس. النبيّ (ص) وقف أمام أمته في أواخر لحظات حياته، حتى يعلِّم القادة والأمّة معاً أنَّه ما دام الإنسان قائداً للأمّة، فلا بُدَّ له أن يقدّم تفسيراً للأمّة في أفعاله كلّها، حتى لو لم يكن مسؤولاً أمام النّاس، وقد كان الرسول (ص) يفعل ذلك، فقد وقف (ص) وقال: "**أيُّها النّاس إنّكم لا تمسكون عليّ بشيء إنّني ما حللت إلاَّ ما حلّل اللّه وما حرّمت إلاَّ ما حرّم اللّه**".

فالرسول (ص) يقول: ادرسوا تاريخي منذ بدأت الرسالة حتى الآن واعرضوه على القرآن، إنّي لم أحلّ إلاَّ ما حلّل اللّه، ولم أحرّم إلاَّ ما حرّم اللّه. ولهذا رأينا أنّ رسول اللّه يبين للأمّة كلّ شيء، وأنّ الإمام عليّ (ع) يبين كلّ شيء. إنَّ (نهج البلاغة) يمثّل خلاصة تفكير الإمام الذي استوحاه من القرآن في جوانب العقائد والشريعة والحكم والسياسة والصراع وما إلى ذلك... ووصل الأمر به أنَّه قال للنّاس: " **فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة** "[1] فقد شرح للنّاس سياسته وطريقته، وكان يسوّغها ليثبت لهم أنَّه يسير على خطّ الشريعة في كلّ سيرته وأعماله. لأنَّ دور الإمام القائد والحاكم أن يثقّف النّاس في ما يدعوهم إليه، ولهذا نعتقد أنَّ سيرة النبيّ تمثّل الشريعة على أساس ما أنزل اللّه، كذلك اللّه قال: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب:21].

على القادة أن يعّوا مرحلتهم:

وعليه فالشعارات التي طرحها الحسين (ع) في كربلاء تعتبر أسساً شرعية حول الحكم، ويبقى دور القادة أن يدرسوا هل أنَّ مرحلتنا هي مرحلة الحسين (ع) أولاً، هل أنَّ الشروط نفسها موجودة الآن؟

فعلينا في كلّ مرحلة من مراحل حياتنا أن ندخل في عملية مقارنة بين الظروف التي كانت تحيط بالإمام الحسين (ع)، والظروف الموجودة لدينا حالياً. فإذا وجدنا تطابقاً بالظروف، فعلينا أن نستلهم من ثورة الحسين (ع) ومن أوضاع جميع الأئمة (ع) ما نواجه به واقعنا ومرحلتنا.

العزّة لا تصدر بمرسوم:

"**ألا وإنَّ الدّعي ابن الدّعي تركني بين السلّة والذلة، وهيهات له ذلك هيهات مني الذلة أبى اللّه ذلك ورسوله والمؤمنون**"[2].

إنَّ موضوع العزّة في مقابل الذلة تمثّل الإطار العام الذي يلتقي بكلّ الأمور المقدسة. فاللّه جعل العزّة لنفسه ولرسوله وللمؤمنين، ومعنى ذلك أن لا خيار للمؤمنين بأن يكونوا أذلاء. ليس من حقّك أن تتنازل عن عزّتك. إنَّ الإمام جعفر الصادق (ع) استوحى من الآية الكريمة التي تقول: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [المنافقون:8]، وقال: "إنَّ اللّه فوّض للمؤمن أمره كلّه، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً"[3].

---

[1] نهج البلاغة، خطبة 216 : من خطبة له عليه السلام خطبها بصفين

[2] البحار، ج:45، باب:37، ص:83، رواية:10.

[3] البحار، ج:64، باب:1، ص:72، رواية:42.

العزّة أن تملك إرادتك:

بعض النّاس يفهم كلمة العزّة أن يملك المال والراحة والجاه الخ... ولا مانع لديه من أن تكون كلّ الأوضاع والنشاطات في حياته منطلقة من خضوعه لسلطة معينة . هناك فرقٌ بين أن تملك قرارك وفكرك، وأن تكون عبداً للّه فقط. فإذا سيطرت وأنت تملك قرارك، تكون قد سيطرت من موقع إرادتك الذاتية. أمّا إذا كنت تأخذ السيطرة من مكان خضوعك لأناس آخرين، فتكون السيطرة هي سيطرتهم وتحرّكهم. إنّهم يتحرّكون من خلالك وأنت الأداة. والأداة هنا على قسمين: أداة تسمع وتتكلّم، وأداة لا تبصر ولا تتكلّم. ﴿**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ**﴾ [النساء: 138-139] ، ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران:26].

وهنا لا بُدَّ أن نشير إلى وجود فرق بين أن تأخذ العزّة بمرسوم، وبين أن تأخذها بقناعة وإرادة... الذين يأخذون العزّة بمرسوم هم عبيد أذلاء. عندما نفكّر بالعزّة، فإنَّ معنى العزّة بالإسلام أن تكون ذليلاً أمام اللّه وعزيزاً في حياتك.

التزامنا بالحسين لا يعني أن نكون انفعاليين:

الإمام عليّ (ع) يقول: "**لا تكن عبد غيرك وقد جعلك اللّه حراً**"[1] أنت ذليل للّه فقط، وأمام النّاس حر وعزيز. على هذا الأساس إذا أردنا أن نكون أعزاء، علينا أن نقف موقف الحسين (ع) في واقعنا الحاضر.

عندما يُراد لنا الخضوع للاستعمار والاستكبار؛ علينا أن نقول كما قال الحسين في كربلاء: "هيهات منّا الذلة".

لا بمعنى أن تنطلق بشكل حماسي وانفعالي. إنَّ معنى الثورة أن نقف على سلاحنا ونخطّط ونناور، ونفعل كلّ ما بوسعنا كما قال اللّه سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ** ﴾ [آل عمران:200]، بذلك تكون ثائراً.

لهذا علينا أن نأخذ من الحسين (ع) هذا الخطّ الذي يحمل فيه كلّ إنسان حالة الرفض العملي لكلّ المخططات التي تريد أن تُذله، فالمهم أن يتحرّك كلّ منّا. أمّا متى يصل إلى الهدف فهذا يخضع للأوضاع.

---

[1] نهج البلاغة، ج:16، باب:31، ص:93.

السعادة انسجام الحياة مع المبادئ:

هناك من النّاس من يفكّر بالحسين، وكأنَّه يئسَ من الحياة وهذا ما يفهمه من كلمة: "**لا أرى الموت إلاَّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاَّ بَرَما**"[1].

الحسين علّمنا من خلال سيرة حياته أنَّه هادئ، ويفكّر بالحساب، ولا يعيش التأزم. وأراد أن يقول للنّاس الذين يعتبرون الموت شقاء، على أساس الأمن والخوف: إذا كان خائفاً فهو شقي، وإذا كان آمناً فهو سعيد، بعض النّاس يعتبرون الأشخاص الذين يعيشون مع الظالمين سعداء!

الإمام الحسين (ع) حدّد لك السعادة حسب فهمك للحياة وإيمانك فقال: إنَّ السعادة انسجام الحياة مع المبادئ، والراحة أن يكون النّاس الذين تعيش معهم منسجمين مع خطّك، الإنسان الذي يعيش بعيداً عن مبادئه تكون حياته شقاء، لهذا كانت قضية الحسين (ع) خطّاً، وليست حالة نفسية.

لنتساءل في كلّ موسم من مواسم عاشوراء، وفي كلّ الأوقات: لماذا كانت جراحات وآلام الحسين (ع)؟ إذا أردتم أن تشاركوا الحسين بعض جراحه، فلا تجرحوا أنفسكم بالسيف وأنتم تعيشون حالة الاسترخاء. إنَّ مشاركة الحسين (ع) هي بالوقوف مع الحقّ ضدّ الباطل.

الساحة جاهزة، والمعركة طويلة؛ معركة الحقّ ضدّ الباطل، معركة العدل ضدّ الظلم.

الحسين كان مرحلة تشير إلى بقية المراحل، يريدنا الحسين أن نكون في مستوى مرحلتنا. الجواب ليس بالهتافات، وإنَّما بالعمل نحو الهدف.

---

[1] البحار، ج:44، باب:26، ص:192، رواية:4.

قضايا طرحتها الثورة
"الوضوح مع القاعدة"

مع الحسين (ع) نطوف في آفاق ثورته، نتابع خطوات مسيرته، لنتعلّم منه كيف تكون الثورة، وكيف يكون خطّ السير من البداية؟

الحسين (ع) كان في شتى المجالات التي تحرّك فيها في خطّ الثورة. لقد اعتمد الصراحة كأساس للعمل، إذ كان لا يؤمن بأنَّ الإنسان الذي يحمل الرسالة يمكن له أن يلف ويدور، وأن يحجب القناعات عن النّاس. لأنَّ الحقيقة في نظر الرساليين ليست ملك القيادة لتحتفظ القيادة لنفسها بسرّ الحقيقة، وتحجبها عن النّاس. الحقيقةُ ملك الناس كما هو الماء والهواء، بمعنى أنَّ من حقّ النّاس معرفة الحقيقة في الفكرة الذي يريدون أن يؤمنون به. إنَّ القيادة التي تُعطي للنّاس نصف الحقيقة، سوف تجعلهم يتحرّكون في الظلام، لا بُدَّ للنّاس أن يفهموا كلّ شيء عن موقف القائد.

لماذا الرفض؟

لهذا رأينا الحسين (ع) يقول لوالي يزيد في المدينة: "**إنّا أهل بيت النبوّة وموضع الرسالة... ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله**"[1]
لقد أعطى الحسين (ع) الخطّ الواضح في هذا الموقف: إنَّك تدعوني أن أبايع، أن أعترف بشرعية هذا الحكم. والإنسان الذي يبايع أيّ حاكم، لا بُدَّ أن يكون اعترافه بشرعية الحاكم منطلقاً من اعترافه بقيادته، وخطّ سيره. أمّا أن تكون مبادئك في خطّ ومبادئ الحاكم في خطّ آخر، فالاعتراف بشرعيته لا يجوز، لأنَّ الشرعية تؤخذ من خلال الخطّ والفكر والإيمان، ما معنى أن تؤمن بشيء وتعترف بشيء؟ إنَّ ذلك يعني النفاق. لهذا أراد الحسين (ع) أن يقول بكلّ صراحة: نحن الذين نحمل الرسالة، والرسالة لا يمكن أن يأخذها الحاكم الفاسق. لأنَّ الفاسق يبيع الأمّة في مقابل شهواته، ولا يمكن أن يكون الحاكم فاجراً... لا يمكن أن يكون شارباً للخمر. فربَّما يلقي الأمّة في الهاوية وهو سكران، ولا يمكن أن يكون قاتلاً أو منتمياً إلى القتلة؛ ولا يمكن أن يكون مجرماً أو منتسباً للمجرمين. لهذا قال الحسين: "مثلي لا يبايع مثله".

وإذا أردنا أن ننسجم مع الحسين (ع)؛ علينا أن نعيش هذه الصراحة، فنكون واضحين في رفض الحاكم الذي لا ينسجم مع واقعنا وإلاَّ كنّا مُزيّفين. هذا موقف من المواقف

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:325، رواية:2.

الصريحة التي واجه الحسين (ع) بها واقع الحكم. وقد أعلن موقفه من خلال معارضته التي بدأها من مكة إلى المدينة ثُمَّ في كربلاء. كان الحسينُ صريحاً مع النّاس. وعندما أراد أن يسير تَبِعَهُ خلق كثير ممن يسيرون مع الثائرين المتمرّدين على خطّ الحكم ليربحوا الامتيازات التي يقدّمها النصرُ للمنتصرين.. كانوا يعتقدون أنَّ الحسين سينتصر ويحصل على المغانم وسوف يغنيهم بالوظائف. وعَلِمَ الحسين (ع) أنَّهم ساروا معه من أجل الأطماع لا من أجل المبادئ، لذلك أراد أن ينعي نفسه ليبيّن لهم أنَّ النهاية هي الموت والشهادة، وقال أيضا: "**إنّي لم أخرج أشِراً ولا بطراً**"[1].

عند ذلك عرفوا أنَّ الحسين ليس طالب ملك بالمعنى الذاتي للكلمة ولكنَّه كان يعيش مسؤولية الرسالة، فتفرّق عنه خلق كثير بعد هذه الخطبة. كان يريد أن لا يعيش النّاس في الظلام أو يغرقون في التشاؤم.

الامتحان الأخير:

الحسين (ع) يريد أن يقول للنّاس الحقيقة حتى يتبعه من يُؤمِن بالحقيقة.

وهناك موقف ثالث في ليلة العاشر من شهر محرّم الحرام، فقد جمع كلّ أصحابه وأهل بيته، وكان الليل ظلاماً قال لهم: "**اللّهمّ إنّي لا أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي وقد نزل بي ما قد ترون وأنتم في حل من بيعتي ليست لي في أعناقكم بيعة ولا لي عليكم ذمة وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً**"[2].. ولكن أولئك النّاس لم يكونوا طلاب حياة، بل كانوا طلاب رسالة، فقالوا بصوت واحد "لا نتركك". وقال قائلهم: "**لوددت إنّي قتلت ثُمَّ نشرت ثُمَّ قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة وأنَّ اللّه يدفع بذلك القتل عن نفسك**"[3].

لقد صارحهم الإمام الحسين (ع) بحقيقة الأمر، وأعطاهم الحرية وأوضح لهم الرؤية، وذلك هو أسلوب الحسين (ع) الصراحة التي لا تعرف غير وجه واحد. ولنا أن نتساءل: هل نجد في واقعنا الذي نعيشه اليوم مثل هذه الصراحة مع من نسير معهم؟ هل نفهم طبيعة المخطّطات التي تُرسم لنا في هذه الساحة، ولو أجرينا استفتاءً شعبياً لنرى: من هو الذي يفهم، على أيّ أساس تقوم التحالفات وتحدث الانقسامات؟ ولماذا تتمّ الموافقة على هذا الموقف أو يرفض ذاك؟ لكانت النتيجة بائسة، يُقال للنّاس: إنَّنا نعارض، ولكنَّهم في الواقع يوالون. ويُقال لهم: نحن نوالي، وهم يعارضون في حقيقة الأمر.

---

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:349، رواية:2.
[2] البحار، ج:44، باب:37، ص:316، رواية:1.
[3] البحار، ج:44، باب:37، ص:394، رواية:2.

أحرجوهم رحمة بالحقيقة:

أحرجوا كلّ الذين يتعاملون في قضايا المصير، أحرجوهم حتى يكشفوا الحقيقة، احشروهم في الزوايا حتى يعرّفوكم كلّ شيء. لأنّنا قد ننطلق في شعارات كثيرة. قد نواجه كثيراً من المواقف على أساس تحدّي الاستعمار، ولكنّنا قد نسير في خطّ الاستعمار من غير أن ندري.

على الأمّة أن تعيش الوضوح:

إنَّ الأمّة التي لا تعيش الوضوح ستظلّ مترنحة بين القيادات والخطوط، لأنَّها تخدع بالكلمات.

إنَّ اللّه علّمنا النظر إلى المواقف وليس إلى الكلمات. علينا أن نكون واعين جيّداً، فنرتبط بالمواقف لا بالكلمات. لأنَّ الكثيرين عندما يتقنون فنَّ التمثيل بالكلمات. علينا أن نميّز بين البطل والبهلوان، والمتنبي يقول:

إذا اشتبكت دموعٌ في خُدودِ   تبيّن من بكى ممن تباكى

عيشوا الوعي، وعيشوا النقد للأشخاص والكلمات: النقد والوعي للخطوات السياسية... حتى نستطيع أن نمسك أرضنا من الاهتزاز والضياع. فالقضية مصيرية دون شك.

هذا هو أحد مواقف الإمام الحسين (ع).

حوار اللحظة الأخيرة:

وهناك موقف آخر هو موقف الحوار، عندما انطلق الإمام الحسين (ع) كان صاحب رسالة. لم يكن همّه أن يقاتل، أو يحصل على الشهادة المزاجية، لم يكن يعجب الإمام الحسين (ع) أن يقتل الإنسان كيفما كان؛ كان يعتبر أنَّ من واجبه هداية النّاس إلى الحقّ، وأن ينهي المشكلة. كان يؤمن بالحوار الإيجابي المنتج لا بالحوار الذي يتحوّل إلى جدلٍ وإلى نتائج سلبية ومضْيّعَةٍ للوقت. كان يؤمن بالحوار الذي يفتح قلوب النّاس على الحقّ.

وصل الإمام الحسين (ع) إلى كربلاء في اليوم الثاني من شهر محرّم (يعني مكث في الطريق من المدينة إلى كربلاء ثمانية أيام). ماذا كان يفعل الحسين (ع) خلال هذه الأيام الثمانية؟

كان يلقي الحجّة على الذي جاء يقاتله، وكان يفتح الحوار مع أعدائه. لأنَّه يريد أن يجعلهم يواجهون القضية من موقع التفكير، وأن يقدّم لهم الحجج. ثُمَّ بعد ذلك احتج عليهم بأشياء كثيرة، ولكن كان هناك نوعٌ من أنواع الحجر الفكري على الجيش الأموي، يقول له الشمر: "ما ندري ما تقول يا ابن فاطمة"؟ بمعنى أنَّ الحوار مرفوض معك. ولم

ييأس الحسين، لأنَّه كان يشعر بأنَّه يحمل مسؤولية توضيح الحقيقة. ولعلّ كلمة (الفرزدق) تعطي نموذجاً عن ذلك، فقد سأله (ع) عن خبر النّاس بالكوفة، فقال له: "قلوبهم معنا وإنَّ سيوفهم لمشهورة علينا"[1] ورفضوا الحوار، ولكنَّ الحسين (ع) لم يتراجع حتى استنفذ كلّ الوسائل التي يمكن أن يؤدي بهم إلى الأيمان بما يريد لهم أن يؤمنوا به.

لقد اعتدنا هذه الأيام أن نعيش الصراعات على أساس طائفي وسياسي وغير ذلك. كربلاء عرَّفتنا الفرق بين الإنسان الذي يحمل قضية ورسالة، والذي لا يحمل رسالة أو قضية؛ والفرق بين الإنسان الذي ينطلق من عُقدة، تتفاعل العقدة في نفسه فتتحول إلى حقد وبغضاء، وبين الإنسان الذي ينطلق من فكرة تتحوَّل لديه إلى انفتاح.

المشكلة التي نعيشها هنا، وفي كثير من البلاد الإسلامية، أنَّ كثيراً من النّاس يعيشون العُقدة الطائفية، ولا يعيشون قضية البلد. إنَّ لدى بعض النّاس عقدة الاستعلاء. يحاورك ليُسجِّل عليك نقطة، لا من أجل أن تفهم ما يريد ويفهم ما تريد؛ بمعنى إنَّ كلّ إنسان يريد أن يحاور من موقع عُقدة، ويحاول أن يلتف على الواقع والكلمات، دون أن توجد هناك قضية أو رسالة.

كيف نبني شخصيتنا من خلال عاشوراء:

في عاشوراء نتعلّم أيضاً: كيف نركِّز شخصيتنا على أساس الإسلام، لأنَّ الإسلام يريد منّا أن نبني شخصيتنا على الصورة التي يريد اللّه لنا أن نعيش عليها، لا يجوز للإنسان، عندما يريد أن يربّي نفسه أو يربّي ولده، أن يشعر بالحرية في أن يختار المفاهيم التي يربّي عليها نفْسَه كما نفعل الآن. نحن نتربى على صورة القرآن في عاداتنا ومفاهيمنا وسياستنا وأفكارنا ومشاعرنا...

إنَّ علينا أن نميِّز بين ما هو إسلامي وما هو غير إسلامي. إنَّنا نستمد ملامح الشخصية من الصحيفة والإذاعة والتلفزيون والسينما... من الأحزاب والمدارس التي تتنوّع مناهجها وأساليبها من مناخ غير سليم لتكوِّن إنساننا المسلم، ولذلك نجد المسلم يناقِض نفسه، وقد يشعر بأنَّ هناك جملة أشياء غير منسجمة بسبب التقاط المفاهيم من دون دراسة.

فنحن نحفظ أحكام الصلاة على سبيل المثال، ولكنَّنا عندما نتحرّك في الحياة لا يكونُ تحرّكنا من خلال صلاتنا. أخلاقُنا نستمدّها من مجتمعنا الذي نعيش فيه، وتصبح شيئاً أساسياً في شخصيتنا. نحن الآن نحاول أن نعطي أفكاراً، لأنَّ دور المحاضرات ليس في أن

(1) البحار، ج:44، باب:22، ص:147، رواية:14.

تتعرّض لكلّ تفاصيل القضايا التي تعيشها، إنَّما يكمن في أن توجّه التفكير نحو الأسلوب الذي يجب أن يتّبعه الإنسان في حياته.

على كلّ منّا أن يوجّه حياته في هذا الاتجاه عبر القراءة والحوار والندوات الإسلامية وغيرها.. حتى نتمكن من تصحيح نماذج وجوانب من التفكير والسلوك السائد بيننا ونتساءل هنا: ما مقوّمات العناصر الإسلامية التي تحكم شخصية المسلم؟

مقوّمات أساسية للشخصية الإسلامية:

لا شك في أهمية العنصر الروحي الذي يتمثّل في علاقة الإنسان باللّه وخاصة بحضور اللّه في حياته، بالمستوى الذي لا يترك أيّ فراغ في حياته إلاَّ وللّه فيه مكان. وهذا المعنى هو تعبير أساسي في شخصية المسلم.

إنَّ المسلم الذي لا يشعر باللّه في حياته، لا يمكن أن يكون مسلماً أثناء ممارسة سلوكه وأخلاقه، ولهذا نجد الحديث النبوي يقول: "**الصلاة عمود الدّين وإنَّها أوّل ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة من الأعمال وأول ما يُسأل عنه العبد بعد المعرفة. فإن قُبِلت قُبِل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها**"[1] باعتبار أنَّ الصلاة تفتح قلبك على اللّه، وتجعلك تشعر بوجوده في كلّ جوانب حياتك، في علاقةٍ حميمةٍ وارتباط بينك وبينه، ولهذا فإنَّ الإنسان الذي لا يصلّي، لا يعيش حضور اللّه، ولا يكون مرتبطاً بالدّين في حياته.

الصلاة تُعطي عُمْقَ الارتباط باللّه. في الصباح ينبِّهك اللّه، وفي بقية أوقات الصلاة تقدِّم حساب عملك أمام اللّه، وتشعر أنَّك مهما عمِلْتَ فإنَّ اللّه معك في ذلك كلّه. عندما تنام، وعندما تستيقظ، وعندما تدخل في أيّ نشاط... فإنَّ اللّه مُطّلع عليك.

إنَّ الإحساس هو عُمْق إيمان المؤمن. لأنَّ الإيمان ليس فكرة رياضية أو علمية فقط، بل هو الحضور الوجداني الفاعل الذي تشعر معه باللّه كأنَّه يعيش في نفسك.

العلاقة رسمية مع اللّه!!؟

على أنَّ الواقع الذي نعيشه الآن هو علاقة رسمية باللّه، قد نلتقي باللّه في الصباح والمساء أثناء الصلاة، لكن لا يوجد للّه دور في السياسة والمعمل والمدرسة وغيرها... هذا هو التفكير الاستعماري الكافر. ألا تسمعون دائماً: "نحن ضدّ تسييس الدّين" و "إنَّ للّه المسجد" و "ممنوع على اللّه أن يخرج من المسجد" وكأنَّ للمستعمرين قانون لا يجيز تدخُّل اللّه في السياسة؟

---

[1] البحار، ج:10، باب:25، ص:394، رواية:1.

يقولون: لا نريد أن نحوِّل المدرسة مسجداً، هذا الواقع تدرب عليه تفكيرنا وشخصيتنا، وأصبح دور اللّه في حياتنا مقتصراً على الصلاة والصوم والحج فقط.

الدّين يبني الحياة:

يجب أن يدخل الدّين في كلّ حياتك، وأن يبدأ دور اللّه معك منذ ولادتك وحتى تموت. علاقتك مع زوجتك وأولادك وزبائنك وأصحاب عملك والنّاس الذين تحكمهم... كلّها يجب أن تطابق شرع اللّه.

اللّه علّمنا أن نفكّر به من خلال خلقِه ونعمه، فنعرف مقدرته في ذلك، لذلك يجب أن تذكر (اسم اللّه) قبل أن تبدأ في أيّ عمل حتى في ممارسة شهواتك. هذا الجانب الروحي في الإسلام هو الذي يحمي الجانب السياسي. الفصل بين الجانب الروحي والسياسي، هو الذي يجعل الحياة السياسية تسير في طريق الضلال، لأنَّك عندما تبعد الجانب الروحي عن حياتك، فمعنى ذلك أنَّ حياتك ستنطلق من خلال مزاجك وأهوائك، عندما لا تبدأ السياسة مع اللّه، فإنَّك تكون قد بدأتها من الشيطان. هناك خطّ للّه وخطّ للشيطان، وعندما لا تكون مع اللّه حتماً تكون مع الشيطان. الإنسان الذي يخاف اللّه، لا يخاف أحد من ظلمه. الروحية الإسلامية هي أن يكون الإنسان مع العدو والصديق على حدّ سواء، لا يظلم عدوّه ولا صديقه. على أنَّنا لو عشنا هذه المفاهيم في حياتنا السياسية، فكم تستطيع تلك المفاهيم أن تخدم قضايانا!!

إذا كنّا نريد أن لا يظلمنا أحد، فيجب أن لا نظلم أحداً. هكذا قال أئمة أهل البيت (ع). هذا هو الإسلام، إذا تربّينا على هذه الروحية في حياتنا السياسية والاجتماعية، نستطيع أن ندفع حياتنا السياسية والعملية في الاتجاه الصحيح.

من أيّ شيء نشكو في المجتمع؟ إنَّنا نعيش الروح العشائرية، ولا نعيش روحية الإسلام. إنَّ مشكلة السياسة هي أنَّ الذين يمارسون السياسة يعيشون التمييز والحقد على النّاس. بعض النّاس يقولون: إذا أدخلنا الجانب الروحي في السياسة، فإنَّ هذا البلد أو ذاك سيتعرض للفتن الداخلية إذ يوجد طوائف متعددة في كلّ بلد، وحفاظاً على وحدتها وتآلفها يجب عدم تدخل الدّين بالسياسة.

فرق بين الدّين والطائفية:

ولكن يجب أن نفهم حقيقة أساسية، وهي أنَّ هناك فرقاً بين الدّين والطائفية. أن تكون متديناً أي أن تكون عقيدتك وأخلاقك وروحيتك هي التي تحكم علاقتك مع الآخرين، فتنفتح على الآخرين من خلال ذلك. أمّا أن تكون طائفياً، فهو أن تكون حاقداً أو

متعصباً وغاصباً لحقوق الآخرين. عندما تكون متديناً، فإنَّك تساوي بين عباد اللّه جميعاً. أمّا الطائفيون فيتحولون إلى طبول منفوخة.

إنَّ علينا أن نقتل الشر في الشرير قبل أن نقتل الشرير، والكافر يجب قتل كفره قبل التفكير بقتله، الإسلام لا يحبّ القتل إنَّه يحبّ احترام النّاس ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ** ﴾ [الإسراء:33] هكذا يعلّمنا الإسلام؛ القتل ليس مزاجاً.

الروح حجر الزاوية في البناء:

إنَّ علينا أن نبني أنفسنا روحيا... واعلموا إنَّ طريق الدّين يمر في طريق العلم. اقرأوا جميع الكتب العلمية فسيزداد إيمانكم، ادرسوا كلّ العلوم لتعرفوا اللّه من خلال ذلك، جربوا صداقة اللّه، جربوا كيف تحبّون اللّه وتفتحون قلوبكم للّه، تكلّموا مع اللّه ولكن بوعي... وستجدون كيف تنفتح لكم الحياة. فلنعش روحية عاشوراء، ففي ليلة العاشر من محرّم كان أصحاب الحسين (ع) بين قائم وقاعد، وراكع وساجد. وكان لهم بكاؤهم ودعاؤهم الذي يدويّ كدويّ النحل، لأنَّهم كانوا يعيشون الأفق الروحي.

إنَّ تقرّبكم للّه لا يعزلكم عن الحياة بل يقرّبكم منها، إنَّ كلّ السدود والحواجز التي تنصب بيننا، فإنَّما انطلقت من خلال الشيطان. إنَّ قضية اللّه هي قضية المصير في الدنيا والآخرة، علينا أن نتقرّب إلى اللّه... نذكر حياتنا من خلال اللّه (سبحانه وتعالى). وهذا هو الخطّ الذي يهدي للتي هي أقوم.

مسيرة الحسين (ع) في الأسلوب والهدف:

عندما نريد الانطلاق مع الحسين (ع) في مسيرته، فعلينا أن نأخذ الحسين (ع) بكلّه: عندما سالم، وعندما حارب. وفي كلا الحالين في حال السلم كان الحسين ثائراً، وفي حال الحرب كان الحسين كذلك. فأن تكون ثائراً، ليس أن تحارب بطريقة مباشرة فقط. لأنَّ للحرب مظهرين، فقد تحارب وأنت تغمد السيف، وقد تحارب شاهراً سيفك.

وفي كثير من الحالات قد تكون حربك بتحضير الساحة التي تضغط على العدو، وبتهيئة الظروف التي يمكن أن تتحرّك ضدّ العدو، وبتركيز القاعدة التي يمكن أن تثبت أمام تحديات العدو. قد تكون هذه الحرب أكثر قوّة وأكثر فاعلية من حرب السيف في البداية. وربَّما نجد أنَّ الحروب التي تتحرّك في عالمنا الحاضر تتحرّك بنسبة 75 بالمائة في خطّ إعداد الساحة وتحضير الجوّ أكثر مما تتحرّك في خطّ الصراع الحار الذي تتحرّك فيه الأسلحة من كلّ مكان.

حربٌ من خلال السلم:

كيف بدأ الإمام الحسين (ع) حربه من خلال سلمه؟! الإمام الحسن (ع) ومعه الإمام الحسين (ع) هادنا معاوية بن أبي سفيان لأنَّ الجيش كان متعباً، والصورة كانت غير واضحة للنّاس بسبب الحروب التي امتدّت من أول خلافة الإمام عليّ (ع) حتى استشهاده، بحيث حجبت عن النّاس آنذاك الصورة الحقيقية التي يمثّلها الحكم الأموي وبعده عن الخطّ الإسلامي، ومن تحرّك في طريق الخطّ الجاهلي.

كان النّاس يفقدون الرؤية الواضحة، فالحرب تشغل النّاس ـ عادة ـ بالحديث عن هذا الفريق أو ذاك، تشغلهم بالأوضاع المتحرّكة، عندما ينتصر أحدُ هذين الفريقين. ولهذا لا يستطيع الإنسان أن يأخذ الصورة الواضحة في حالة الحرب. وكان المحاربون متعبين يخرجون إلى الحرب متثاقلين، وبهذا استفادت الرئاسات العشائرية التي كانت تعمل لمصالحها الخاصة من هذا التعب، واستطاعت أن تحوِّل ذلك لمصلحة أطماعها وشهواتها، فكانت المعركة خسارة على مستوى القضية لا على مستوى الشخص فحسب. ولهذا أراد الإمام الحسن (ع) أن يُعطي الناس فرصة يعيشون فيها مع حكم (بني أمية) ليتعرفوا على خصائص هذا الحكم، ولتكون الثورة عند ذلك حالةً طبيعية يعيشها النّاس من خلال مفردات حياتهم الخاصة. وهكذا كان، فقد بدأ الحكم الأموي يأخذ حريته في الحركة، وبدأ النّاس يعرفون في ذلك الوقت معنى الطبقية بين المسلمين، ويعرفون معنى الأثرة ويعرفون كذلك معنى أن يقرَّب الإنسان لا لكفاءته، ولكن لعصبيته؛ وأن يُبعد عن المسؤولية حتى لو كان كفوءاً، لأنَّه بعيد عن حركة العصبية التي كانت تسيطر على الواقع. حتى إذا كانت نهاية المطاف وكان معاوية قد أعطى الحسن عهداً أن يكون له الأمر من بعده، دسَّ معاوية للإمام الحسن (ع) السم فاستشهد. وعندما أراد معاوية بعد هذا أن يأخذ البيعة ليزيد؛ حاول أن يطرح القضية بطريقةٍ حاسمةٍ، ووقف هناك شخص وبيده صُرَرٌ من المال، وبالأخرى سيفٌ قائلاً: من بايع فله هذا، مشيراً إلى المال. ومن رفض فله ذاك.

وانطلق الحكم في هذا الاتجاه وكثرت المظالم، حتى لقد قُتِل حِجْرُ بن عدي الصحابي الجليل ومعه إبنه وتسعة من أصحابه الخُلّص، لأنَّه رفض أن يتبرأ من عليّ بن أبي طالب (ع) عندما عرض عليه البراءة من عليّ (ع). وقد احتجت (عائشة) آنذاك احتجاجاً عنيفاً، لأنَّ حِجْر كان معروفاً بالصلاح بأعلى درجة بين المسلمين. وهكذا فُرِضَ سبّ عليّ (ع) على المنابر في كلّ يوم جمعة وفي كلّ مناسبة عيد، بل حُدّد هذا بمرسوم في سائر المناطق الإسلامية.

الأوضاع المؤاتية:

وانطلق الحكم في هذا الاتجاه حتى ضجَّ النّاس من هذا الحكم، وأصبحت الثورة حالة طبيعية، يتحدّث فيها كلّ النّاس نتيجة فساد الحكم وابتعاده عن خطّ الإسلام وعن خطّ اللّه ورسوله. حتى إذا كانت بيعة يزيد؛ كانت القضية قد تفاقمت فوق العادة.

وتهيّأت الأوضاع في الكوفة للثورة وأرسل زعماؤها للحسين (ع) . وهو في المدينة المنوّرة . الكتب الكثيرة التي تدعوه أن يأتي إلى العراق ليقود الثورة. وعندما دُعِيَ الإمام الحسين (ع) لمبايعة يزيد وقف تلك الوقفة الحاسمة التي أعطى فيها للقضية حجمها الطبيعي عندما قال لوالي المدينة آنذاك: "**إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة. وبنا فتح اللّه وبنا ختم اللّه. ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله!**"[1].

وهكذا انطلق الحسين (ع)، وأعلن معارضته ووقوفه ضدّ هذا الحكم. وانطلق بعد ذلك من أجل أن يهيئ الأجواء النفسية لخروجه من المدينة، وذهب إلى مكة. وعندما انطلق النّاس إلى مِنى يوم التروية قبل التاسع من ذي الحجة، أبدل الحسين حجّته بعمرة وترك النّاس! في حين كان النّاس بانتظار الحسين أن يقف معهم في يوم عرفة على جبل عرفات. النّاس يتجهون إلى مِنى، والحسين (ع) يتجه إلى العراق.

لماذا؟

حتى يعيش النّاس التساؤل: لماذا لـم يُسافر الحسين (ع) من المدينة للعراق مباشرة مع أنَّ المسافة أقرب؟

لماذا انطلق من المدينة إلى مكّة، وحوَّل حجّه إلى عمرة، وترك مكّة في اليوم الذي يتجمع فيه الحجاج للذهاب إلى عرفات؟ لماذا؟!

حتى يعطي الإمام الحسين (ع) الجوّ الإعلامي الذي يتحرّك فيه النّاس متسائلين، وبذلك يحصل على تغطية إعلامية تستفيد منها القضية في ما بعد، لكي يعرف النّاس أنَّ الحسين (ع) قد ثار وأنَّه قد تحرّك. ويرجع النّاس كلٌّ إلى بلده، أهل اليمن إلى يمنهم، وأهل الشام إلى شامهم، متحدّثين عن أنَّ الحسين بن عليّ (ع) قد ذهب إلى مكّة ورجع منها في اليوم الذي يتحرّك فيه النّاس لعرفات، وانطلق بالثورة ضدّ يزيد، وضدّ الحكم الأموي.

كانت انطلاقة الحسين (ع) بهذه الطريقة ملفتة للنظر؛ فالثائر لا يخرج معه عياله وأطفاله، ولا يخرج معه عيال أصحابه، ولكنَّ الحسين (ع) أخرج كلّ هذه النماذج معه.

لماذا؟...

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:325، رواية:2.

لكي يكون هذا الواقع واقعاً احتجاجياً أمام كلّ من يراه، ليشعر بأنَّ الحسين (ع) في حركته هذه أصبح مهدّداً من قبل هذا الحكم حتى بأطفاله ونسائه، ولذا فإنَّه لا يأمن من هذا الحكم على أطفاله ونسائه أن يتركهم في المدينة بعد أن يثور. ثُمَّ بعد ذلك كان يهيّئهم لوضع آخر حتى يضمن استمرار الثورة بعد استشهاده.

وتقدّم الحسين (ع) في الطريق وتبعه أناس كثيرون. بعضهم تبعه على أساس أنَّ الحسين (ع) جاء كغيره من الثائرين الذين يثورون على الحكم، والذين يمكن أن يحصلوا على نتائج إيجابية؛ وبذلك سيحصلون على النتائج والوظائف والمراكز التي يتمنّاها كلّ المتزلّفين.

الإمام الحسين فهم هذه القضية وعرف أنَّ هناك أناساً كثيرين ممن هم معه لا يخلصون للثورة، ولا يخلصون لقضيتها ولهذا التحرّك، وقد يكونون في المستقبل عبئاً على الثورة عندما تتحرّك، وتقف في خطّ المواجهة.

لذلك وقف، وخطب بهم وعرّفهم بالمصير المحتوم الذي ينتظره فقال لهم: "**وخير لي مصرع أنا ألاقيه... كأنّي بأجسادي هذه تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء**" إلى أن قال: "**إنّي لم أخرج أشِراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر؛ فمن قبلني بقبول الحقّ فاللّه أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ أصبر حتى يقضي اللّه بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين**"[1] ، لماذا أعلن ذلك. ليعرف كلّ هؤلاء النّاس الذين اتبعوه للدنيا أنَّه صاحب رسالة وليس صاحب ملك، وأنَّه كأبيه عليّ بن أبي طالب (ع) لم يطلب الملك أو يطلب الأمرة كطموح شخصي يسدّ به فراغ ذاته، وإنَّما طلبه على أساس أن يقيم به حقّاً أو يدفع به باطلاً. ويُقال إنَّ الإمام الحسين (ع) بعد أن خطب هذه الخطبة، تفرّق عنه كثير من النّاس الذين لحقوا به من أجل الغنيمة، ومن أجل الحصول على المراكز. وعرف الإمام بمصرع مسلم بن عقيل وبخذلان أهل الكوفة له؛ ومع ذلك بقي متقدّماً حتى التقي بالفرزدق الشاعر، وسأله عن خبر النّاس بالكوفة فقال له الفرزدق: قلوبُهم معك وسيوفهم عليك.

لماذا تراجع أهل الكوفة عن نصرة الحسين (ع):

وبقيَ الحسين (ع) متقدّماً، لأنَّه مصمم على الوصول إلى النهاية في ثورته، ولم يكن إنساناً حائراً كما قد يصوِّر بعض قراء مجالس العزاء، لا يعرف إلى أيّ بلد أو أي مكان يذهب. كان يعرف طريقه جيّداً من البداية إلى النهاية، ويعرف أنَّ القضية قضية ثورة

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:329، رواية:2.

للشهادة، وليست قضية ثورة للملك. لأنَّ الواقع الإسلامي كان يحتاج إلى هزّة عميقة بحجم استشهاد الحسين (ع) وبحجم مأساته.

ولكن ما بال أهل الكوفة الذين كانوا بين ثمانية عشر وثلاثين ألفاً يبايعون مسلم بن عقيل على السمع والطاعة، ويتراجعون بعد ذلك؟

هل على أساس أنَّ وضع أهل العراق كان على هذه الصورة منذ التاريخ وحتى الآن. إنَّهم يخذلون قادتهم وأئمتهم؟ أم أنَّ للقضية بُعداً آخر.

1- اعتقال قادة الثورة:

قد تكون لبعض الشعوب بعض الخصائص الذاتية التي تدفعهم أحياناً إلى اتخاذ بعض المواقف الانهزامية أو السلبية، لكن الذي حدث في العراق وفي الكوفة تحديداً ينطلق من عنصرين لا بُدَّ لنا أن ندرسهما جيّداً:

العنصر الأول، أنَّ عبيد اللّه بن زياد كان قد اعتقل قادة الثورة مثل سليمان بن صرد الخزاعي وأمثاله. كان قد اعتقل العقول المفكرة التي كانت تقود النّاس نحو الثورة وتهيئ النّاس للانتفاض على الحكم القائم. وعندما تنطلق الثورة الجماهيرية بدون عقول مفكّرة تخطّط لها، أو بدون قيادات فاعلة تستطيع أن تحرّكها وتحرّك مسيرتها؛ فإنَّ من الممكن لأيّ فريق من فرقاء الحكم أو غير الحكم أن يتلاعب بها كما يشاء، لأنَّ دور الجماهير هو دور عاطفي وانفعالي في الغالب؛ لذلك كانت تستجيب للمواقف الانفعالية من الترهيب والترغيب، في الوقت الذي ندرك فيه كيف فعل الترهيب والترغيب في كثير من الذين كانوا يسيرون باتجاه القضايا الكبيرة، بيد أنَّهم أمام الخوف تركوا ذلك وهربوا، وأمام الترغيب تركوا ذلك واندفعوا!!!

الارتباط العاطفي بالثورة:

أما العنصر الثاني فالقيادات التي قادت الثورة كانت في السجون والجماهير كانت مرتبطة ارتباطاً عاطفياً مركّزاً. كانت القضية قضية حبّ لأهل البيت وتألم من الواقع، ولكن القضية كانت محتاجة إمّا إلى قيادة تواكبها، وإمّا إلى تحذير دائم حتى تستطيع أن تثبت وتستطيع أن تنطلق ويبدو أنَّ أهل الكوفة في ذلك الحين كانوا يعيشون الجوّ العاطفي الانفعاليّ في علاقتهم بالحسين، وفي رفضهم للحكم الأموي. ولهذا عندما جاء ابن زياد حاملاً السوط بيد وصرر الدراهم والدنانير بيد؛ استطاع أن يجمّد تلك الحالة العاطفية. ولهذا كان موقفهم يعبّر عمّا أخبر به الشاعر الفرزدق عندما قال للحسين (ع): إنَّ قلوبهم معك وسيوفهم عليك.

هـذا مـا يجـب أن نتمثّلـه في حياتنـا المعاصـرة، وحياتنـا في الواقـع كمسـلمين وكمـؤمنين وكرافضين لكلّ كفر، ولكلّ طغيان، ولكلّ ظلم في حياتنا... إذا أردنا أن نكون منسجمين مع الخطّ الإسلامي القرآني الإيماني فحياتنا يجب أن تكون ثورة مستمرة تتحرّك في إطار تغيير الواقع؛ قد تكبر هذه الثورة وقد تصغر لكنَّها في الأحوال كلّها يجب أن تستمر. ذلك هو شأن الإنسان المسلم المؤمن باللّه.

وإذا كان هذا هو هدفنا في حياتنا؛ فإنَّ معنى أن نتحرّك في الحياة هو أن تكون حياتنا جهاداً مستمراً. من أجل إقامة الحقّ ومن أجل إزهاق الباطل. فلا بُدَّ إذن أن نقف أمام هاتين الظاهرتين اللتين شاركتا في ابتعاد جماهير الحسين (ع) عنه في نهاية المطاف.. هما: القيادة ـ إذ لا بُدَّ للجماهير من قيادة أمينة على دينها ومصيرها ووعي الأمّة للواقع.

القيادة هي الأساس:

نعم إنَّ القيادة هي الأساس في الإسلام، ونحن نفهم من الآية الكريمة التي نزلت على رسول اللّه (ص) عندما قال اللّه له: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِين**﴾ [المائدة:67].

نفهم بأنَّ اللّه جعل قضية القيادة وإهمالها تعادل عدم تبليغ الرسالة، فكأنَّ اللّه عزَّ وجلّ يقول لرسول اللّه (ص): إنَّك إذا تركت الدنيا من دون أن تنصِّب للأمّة قائداً في مستوى قضاياها، وفي المستوى الكبير من الإخلاص للقضايا؛ فكأنَّك لم تبلِّغ الرسالة، لأنَّها قضية حركة الرسالة في الحياة. وعندما يُراد للرسالة أن تستقيم على مستوى الفكر والواقع، لا بُدَّ من قيادة تحمي الطريق من الزلل والانحراف. وقد ورد في بعض الأحاديث: بُنيَ الإسلام على خمس: "الصلاة والصوم والحج والزكاة والولاية" ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية.

لماذا؟ لأنَّ الولاية تمثّل القيادة التي يمكن أن تحفظ الفكر من الانحراف والطريق من الزلل. لهذا لا بُدَّ للأمّة في كلّ مرحلة من مراحل حياتها أن تبحث عن القيادة الأمينة. والقيادة الأمينة هي القيادة التي تحمل فكر الأمّة، بحيث لا معنى لأن تأتي قيادة لا تحمل الرسالة التي تتديّن بها الأمّة أو لا تحمل الإيمان بالخطّ الذي تتحرّك من خلاله تلك الأمّة.

لا بُدَّ إذن من قيادة واعية أمينة واعية مخلصة تستطيع أن تثبت، وأن تكون حاسمة، وتستطيع أن تحمي للأمّة أهدافها على مستوى الفكر والواقع. ولهذا قال الإمام عليّ (ع) وهو يحدّد لنا من يقيم أمرَ اللّه: "**لا يقيم أمرَ اللّه إلاَّ من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع**

المطامع"[1] أي من لا يجامل، لا يداهن، لا يذل، ولا يضعف، ولا يعتبر القيادة امتيازاً يزهو به... وإنَّما يعتبر القيادة مسؤولية يجب أن يكون في مستواها كما كان عليّ (ع).

كان يقول لابن عباس، وهو يشير إلى نعله: "**واللّه لهيَ أحبّ إليّ من أمرتكم، إلاَّ أن أقيم حقّاً، أو أدفع باطلاً**"[2] إنَّ القيادة مسؤولية وليست امتيازاً.

القيادة للفقهاء الواعين:

إذاً لا بُدَّ للأمّة أن تواجه مسؤوليتها على أساس القيادة الواعية المؤمنة المخلصة التي تعرف للأمّة ما يفيدها وينفعها في دنياها وآخرتها.. وعندما تريد أن تقود أمّة معناه أنَّك تقودها لتبلغ بها أهدافها دنيوية كانت أم أخروية.

القيادة هي في مستوى مسيرة الأمّة في الحياة. وعلى هذا الأساس، فإنَّنا نعتبر أنَّ القيادة الحقّة إنَّما هي للفقهاء المجتهدين الذين يعرفون رسالة اللّه، والذين يعيشون المعاناة في حياة الأمّة، ويفهمون قضاياها ومشاكلها في مجالاتها كافة.

وعي الأمّة للواقع:

لا بُدَّ لنا أن نعمل بكلّ ما لدينا من طاقة في سبيل أن تكون الأمّة واعيةً لقضاياها ولرسالتها وللساحة التي تتحرّك فيها، لأنَّ الأوضاع التي نعيشها في هذه المرحلة من حياتنا الآن وفي المستقبل تتحرّك لتلبس الحقّ بالباطل، وتحاول أن تخاطب عقول الجماهير وعواطفها بكثير من الأفكار التي تلتقي مع نوازعها الذاتية، ولكنَّها لا تلتقي مع مصالحها وأهدافها الحقيقية.

---

[1] نهج البلاغة، ج:18، باب:107، ص:274.

[2] نهج البلاغة، ج:2، باب:33، ص:185.

خاتمة:

الإمام الحسين (ع)
في مواجهة الواقع المنحرف

كيف نستطيع استيحاء ذكرى الإمام الحسين (ع) في حركتنا الإسلامية الصاعدة.

هل نبقى ـ معها ـ لنحرّكها على أساس الأمجاد التاريخية التي تزهو بها الأمم والشعوب، لنؤكد بأنَّها ليست منفصلة عن الجذور العميقة في التاريخ، إذ أنَّ هناك أكثر من إشراقة مضيئة في ظلام الماضي السحيق.

أو ننطلق بها، في مفرداتها الفكرية والروحية والحركية، لنعيش إيحاءاتها المتنوعة، كما لو كانت حدثاً مفتوحاً على الحاضر في تطلعاته المستقبلية.

إنَّ الجواب على هذا السؤال ينطلق من القاعدة القرآنية الإسلامية التي تركز على أساس أنَّ الماضي هو مسؤولية الذين عاشوه وصنعوه، في الدوائر السلبية والإيجابية، وذلك في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة:134].

فليس المجد التاريخي مجداً لنا بالمعنى الحركي للمجد، بل هو مجد الأبطال الذين صنعوه. فنحن لم نصنعه، فلا علاقة لنا به، حتى لو كنّا أبناء هؤلاء فلن نحصل على أيّ ثواب عليه: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى** ﴾ [النجم:4139].

إنَّ قيمة التاريخ ـ في الإسلام ـ هي قيمة العبرة التي تفتح الحدث على الفكرة، وترصد الثوابت التي لا تخضع في خصوصياتها للفترة الزمنية؛ بل تشمل كلّ خطوط الزمن لأنَّها خصوصيات الحياة كلّها. وهذا ما يجعلنا نرتبط بالشخصيات الإسلامية القيادية في مستوى النبيّ (ص) والأئمة (ع)، لأنَّ حركتها ليست حركة اللحظة التي عاشت فيها، بل هي حركة الرسالة في التجسيد الحي الذي يتمثّل في خطواتها الفكرية والروحية والعملية. فنحن نرى أنَّ قول المعصوم وفعله وتقريره، يمثّل الخطّ الشرعي الذي يؤكد لنا شرعية الخطّ الذي ينطلق منه، ويتحرّك فيه؛ وبهذا كانت الرسالة حركة في وعي الرسول وفي سلوكه، كما كانت انفتاحاً على الآفاق العامة والخاصة في ذهنية الإمام وكلماته وخطواته.

وفي ضوء ذلك، لم تكن حركة الإمام الحسين (ع)، مجرّد حركة سياسية ثورية، بالمعنى التقليدي للكلمة الذي يستغرق في الذات والحدث والمرحلة... ليعيش الجانب الإنساني الحركي التجريدي فيها؛ بل هي حركة إسلامية بالمعنى الثوري للإسلام، بحيث تلتقي فيها

الأبعاد التفصيلية الرسالية، التي تحدّد لنا شرعية النهج الثوري المتحرّك في نطاق التضحية حتى الاستشهاد، مع طبيعة الظروف الموضوعية المحيطة بالحدث الكبير في تلك المرحلة، وفي الظروف المماثلة لها في المراحل الأخرى؛ الأمر الذي يجعلها حالةً تطبيقيةً للخطّ الإسلامي النظري، في الصراعات الداخلية التي يعيشها الواقع الإسلامي بين خطّي الاستقامة والانحراف، في الموقع القيادي الشرعي أو في الموقع المتمرّد على الشرعية.

فلم يكن الإمام الحسين (ع) ثائراً يتمرّد على الذل من موقع إحساسه الذاتي بالكرامة، أو التزامه العائلي بالعزّة؛ ولم يكن إنساناً متمرّداً على الواقع بالمعنى المزاجي الانفعالي الرافض للأوضاع الخاصة التي لا تنسجم مع مزاجه، كبعض الثائرين الذين ينطلقون في ثورتهم وتمرّدهم من حالة انفعال عامّة لا تملك أيّ نهج في الخطوط التفصيلية للسلوك العملي في هذا الاتجاه.

بل كان مسلماً في ثورته وتمرّده، متمسكاً بخطّ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، الذي يفرض على المسلم الثورة على واقع الانحراف من أجل أن يغيّره نحو واقع الاستقامة.

وهذا ما يفرض علينا أن ندخل في عملية مقارنة بين ظروف المرحلة التي عاشتها الإمام الحسين (ع)، وظروف المرحلة التي نعيشها، في طبيعتها، وفي مفرداتها، وفي خطوطها التفصيلية، وفي تحدياتها الفكرية والعملية... لنتعرّف من خلال ذلك على معنى الشرعية في حركتنا في الظروف المماثلة. وهذا ما نلاحظه في الكلمة الأولى التي بدأ بها الإمام الحسين (ع) حركته في ما سطره الرواة من سيرته، أنَّه خاطب أصحابه قائلاً:

"**أيُّها النّاس إنَّ رسول اللّه (ص) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم اللّه، ناكثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسنّة رسول اللّه، يعمل في عباد اللّه بالإثم والعدوان؛ ثُمَّ لم يغيّر بقول ولا فعل، كان حقيقاً على اللّه أن يدخله مدخله.**

وقد علمتم أنَّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام اللّه وحرّموا حلاله، وإنّي أحقّ بهذا الأمر لقرابتي من رسول اللّه"[1].

إنّها الثورة على السلطان الجائر المستحل لحرمات اللّه في عباده، فلا يرى لأحد حرمة أمام طغيانه واستبداده، الناكث لعهده، فلا يعاهد أحداً إلاَّ لينفض عهده معه على أساس انتهاز الفرص التي يستفيد منها لمصلحته، لينتقل بعد ذلك إلى فرص أخرى لتحقيق مصالح أخرى، بعيداً عن أخلاقية الإنسان الذي يحترم كلمته ويلتزم بعهده؛ "المخالف لسنّة رسول اللّه" ونهجه في خطّه وشريعته، لأنَّ الالتزام بها لا ينسجم مع خططه الذاتية، وأطماعه المادية،

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:382، رواية:2.

وشهواته الغريزية... الأمر الذي يجعل إسلامه شكلياً كلامياً لا يقترب من الصدق في الالتزام أو الاستقامة في خطّ السير.

العامل "في عباد اللّه بالإثم والعدوان"، فهو الرّجل الآثم في تعامله مع النّاس، العدواني في تصرفاته معهم. لأنَّه لا يعيش مسؤولية الحكم على أساس العدل، ولا يحترم النّاس في علاقته بهم على أساس المسؤولية؛ فهو الوحش في صورة الإنسان.

هذا هو الإنسان الذي يجب أن تقوم الأمّة بالثورة لتغييره واستبداله بإنسان آخر، من خلال الكلمة الثائرة، والموقف القوي الحاسم. فلا عذر للقادرين على عملية التغيير أن يبتعدوا عن ساحة الصراع ضدّه، والثورة عليه، ولا مجال للحياد بينه وبين الحاكم العادل.

وهكذا كان الحسين (ع) يتحدّث عن الخطّ العريض للجانب الفكري من خطّ الثورة. أمّا الجانب التطبيقي في ساحة الواقع، فهو فريق الحكم الذي عاش في عصره. فهؤلاء النّاس في صورة الحاكم وأتباعه هم الذين تركوا طاعة الرحمن، ولزموا طاعة الشيطان؛ فابتعدوا عن اللّه سبحانه في حياتهم، واقتربوا من الشيطان في ذهنياتهم وخطواتهم، وبدلوا الشريعة في نهجهم وطريقتهم؛ فإذا بالحلال يتحوّل إلى حرام عندهم، وإذا بالحرام ينقلب حلالاً في سلوكهم.

ثُمَّ كان من أمرهم، أنَّهم استأثروا بثروة الأمّة فحولوها إلى ثورة شخصية، عطلوا الحدود التي أراد اللّه للعباد أن يقفوا عندها ولا يتجاوزوها، فأضاعوا النّاس والحياة والدين كلّه.

ولا بُدَّ للحسين (ع) أن يغيّر بقوله وبفعله.

وكانت الثورة الاستشهادية هي بداية التغيير، من أجل أن تطلق الصرخة المدوية، المضرجة بالدماء، المنفتحة على كلّ قيم الحقّ والعدل والعزّة والكرامة والإنسانية والحياة في حركة الحاضر نحو المستقبل.

تلك هي صورة التحدي الحسيني في مواجهة الواقع المنحرف في داخل الواقع الإسلامي، لأنَّها حركة داخلية في ما يعانيه الوضع الإسلامي العام للأمّة على مستوى الحكم والحاكم.

فماذا عن مرحلتنا في ظروفنا المعاصرة؟

إنَّنا نواجه التحدي الكبير في الاستكبار العالمي، الذي يطبق على الواقع الإسلامي كلّه في ثقافته وسياسته واقتصاده وحربه وسلمه... من خلال إطباقه على الواقع الإنساني كلّه.

كما نواجه التحدي الآخر في الانحراف الداخلي في الحكم، الذي لا يأخذ الإسلام عنواناً له، ولا ينطلق من العدل في حركته تجاه المحكومين.

الأمر الذي يجعل الواقع أكثر خطورة، في طبيعته وفي نتائجه السلبية، على كلّ مسيرتنا، من الواقع الذي عاشه الإمام الحسين (ع) في مرحلته، فقد كان الحكم في عصره يجعل الإسلام شعاراً له، ولكنَّه كان ينحرف عنه في خطّ السير ونهج الحركة.

فهل نستطيع أن نبتعد عن خطّ الثورة في ذهنية المسلم الثائر؟ وهل نملك أن نتنكر لحركة التغيير في وعي الواقع العملي لروحية التغيير؟

لا بُدَّ أن يكون كلّ واحد منها مشروعاً ثائراً في الخطّ والحركة والمعاناة.

أمّا حركية الثورة في الفعل، وشرعية التغيير في النهج؛ فقد نحتاج فيها إلى رصد ظروف الواقع العملي من حيث القدرة والإمكانات والنتائج، لنخطّط من موقع الدراسة الدقيقة الحيّة، لنعرف كيف نواجه التحدي في الفعل وردّ الفعل، وكيف تنتصر القضية فينا، لنهيئ الظروف لتقريب موعد النصر، أو لتحريك خطواته في اتجاه المستقبل.

ليس من الضروري أن يكون الأسلوب الحسيني في الشكل المأساوي الاستشهادي هو أسلوبنا، لأنَّ من الممكن أن يكون لهذا الأسلوب ظرفه الخاص الذي فرضته حركة الأحداث في تلك المرحلة، مما قد لا تتوفر فيه خصائص الظروف التي تعيشها مرحلتنا الحاضرة.

ولكن لا بُدَّ أن تكون الروحية الحسينية هي التي تمثّل معنى روحيتنا. فقد واجه الإمام الحسين (ع) الموقف على أساس الاستمرار فيه وعدم التراجع مهما كانت الاحتمالات. وهذا ما عبّر عنه بقوله: "**فمن قبلني بقبول الحقّ فاللّه أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي اللّه بيني وبين القوم بالحقّ**"[1].

فإنَّ من المعروف أنَّ الصبر هنا ليس صبر المنهزمين، بل هو صبر الواثبين المتطلعين الذين يرصدون المستقبل في الأفق الواسع، ليجدوا فيه إشراقة النور الذي يشق الظلمات.

إنَّ المسألة هي أن يبقى الهدف حياً في أفكارنا، وفي تطلعاتنا، وفي خططنا الثورية، وفي خطواتنا العملية.. لنجعل الحياة كلّها، في ما نملكه من الطاقات، حركة نحو الهدف الكبير؛ لتكون الوسائل العملية المتنوعة خاضعة للظروف الموضوعية التي تحكم واقع الحياة والإنسان في نطاق المراحل القريبة والبعيدة.

هذه بعض إيحاءات عاشوراء في خطّ الثورة، فما هي إيحاءاتها في خطّ الدعوة إلى اللّه في نطاق الإسلام؟

---

[1] البحار، ج:44، باب:37، ص:330، رواية:2.

من نافل القول أنَّ كلّ حركة للثورة هي حركة في اتجاه الدعوة. لأنَّ الثورة تعمل على سدّ الثغرات التي ينفذ منها الكفر والضلال في واقع المؤمنين، وإغلاق النوافذ التي تتحرّك من خلالها رياح الانحراف في أجواء المسلمين. كما تعمل على إثارة اليقظة في العقول النائمة، وتحريك الوعي في الأحاسيس الجامدة، وفتح القلوب على المفاهيم الخيرة في الأجواء الشريرة.

وبذلك يجد النّاس فيها حياة جديدة للإسلام، تجدّد له شبابه، وتعيد إليه حيويته، وتسرع به إلى الهدف الكبير... فهي تختصر المراحل البعيدة لتجمعها في حركة فاعلة في اتجاه النتائج الحاسمة في الحياة.

لذلك كانت إيحاءات عاشوراء تنطلق في اتجاه الدعوة، من خلال انطلاقها في عنوان الإصلاح في أمة رسول اللّه، الذي يحمل في داخله إصلاح الخطّين الفكري والعملي؛ لينفتح النّاس على الإسلام كلّه، حتى لا يثقلهم الانحراف الواقعي فيبعدهم عن الاستقامة الفكرية.

إنَّنا نحتاج إلى عدم الاستغراق في المعنى السياسي في الثورة الذي قد يبعدنا . في النظرة الساذجة . عن الدعوة، بل لا بُدَّ لنا من أن نعيش التكامل في خطواتنا ليكون العنوان الفكري حركة في العنوان الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعسكري، من أجل أن يكون الدّين كلّه للّه؛ فلا يكون فيه نافذة تطلّ على غير اللّه.

هذا بعض الحديث عن معنى كربلاء، في حركة الإسلام في الدعوة والثورة معاً.